محاضرات
في
"الإيمان بالملائكة"

ألقاها
أ.د. محمد بن عبد الرحمن أبو سيف الجهني
أستاذ العقيدة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله وحده لاشريك له ، والصلاة والسلام على من لانبي بعده ، وعلى آله وصحبه ، وبعد ،

فهذه محاضرات كنت قد ألقيتها في طلاب السنة الثالثة بكليات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في سنوات متكررة، حتى اجتمع لها طلاب كلية الحديث في عام ١٤١٦هـ فقيدوها في مذكرة، حرروها بخطوط عدد منهم، وتداول الطلاب والزملاء هذه المذكرة لسنوات، وعندي نسخة منها ، وهذه طبعة عنها مع شيء من التهذيب أضعها بين يدي طلاب العلم بعد مضي كل تلك السنوات ، وقد كان طلب مني عدد من الطلاب والزملاء طبع هذه المحاضرات في كتاب يتداوله الناس ، ومضت السنون والهمة خامدة عن ذلك ، فسبحان الذي بعثها في هذه الأيام خاصة ، وكل شئ بقدر حتى العجز والكيس .

هذا ، وقد كنت أفردت كتابا بعنوان (خلْق الملائكة عليهم السلام) خصصته في مباحث خلقهم ، وجردت مباحثه من محاضراتي المذكورة ، وحررت مادته بتهذيب وتوثيق أتم مما هي عليه في مذكرة الطلاب التي قيدوا المحاضرات فيها ، وأعددته للطبع في عام ١٤١٨هـ ، ثم لم يتهيأ لي نشر طبعته الأولى إلا في أوائل هذا العام ١٤٣١هـ ، ولعل قارئ هذه المحاضرات في هذه الطبعة أن يضم إليها كتاب (خلق الملائكة) فإن ذلك لايخلو من فائدة أتم، بل هو كذلك .

أسأل الله فضله وثوابه ، وأن يكون هذا من العلم النافع الذي يبقى لي بعد الممات تجري عليَّ حسنته ، وما أجزاها من تجارة ، رأس مالها هبة تفضل بها الوهاب ذو الفضل العظيم سبحانه ،وربحها لا علم بغايته إلا أنه من ذي فضل لا يحاط بفضله علما، وريعها جار غير مقطوع أجراه الحي القيوم سبحانه ، فاللهم بلِّغنا ما نرجوه من فضلك ، واستر واعفو عما يبلغه علمك .

وصل اللهم على النبي وسلم تسليما ، لك الحمد أولا وآخرا لاشريك لك.

أ.د. / محمد بن عبد الرحمن أبو سيف الجهني

المحاضرة الأولى – في ١٤١٦/٥/٧هـ

سبب البدء بالإيمان بالملائكة وتقديمه على الإيمان بالكتب: لقد بدأنا بالحديث عن الإيمان بالملائكة قبل الحديث عن الإيمان بالكتب والرسل لأسباب نجملها فيما يلي:

١– إتباع هدي النبي ﷺ في البدء بما بدأ الله به: فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ لما توجه للسعي ودنا من الصفا قرأ قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ** ﴾ [١] ثم قال: «أبدأ بما بدأ الله به»[٢]. فسنة المصطفى ﷺ البدءُ بما بدأ الله بذكره في القرآن، والله عز وجل قدَّم ذكر الملائكة في القرآن، وذلك في آيات عديدة منها:

قوله تعالى: ﴿ **ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ** ﴾ [٣]، وقوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا** ﴾ [٤]؛ فالله عز وجل قدم ذكر الملائكة على الكتب والرسل، ولذلك اتباعا للنبي ﷺ في تقديم ما جاء ذكره مقدما في القرآن الكريم بدأنا الحديث عن الملائكة قبل الحديث عن الكتب وغيرها من أركان الإيمان.

٢– تقدمهم في الخلق: فإن الملائكة متقدمون في الخلق فقد خلقوا قبل البشر، ولذلك من المناسب أن نبدأ بهم في الذكر والكلام قبل الحديث عن الأنبياء عليهم السلام.

٣– الترتيب الواقع في ذات الأمر: فإن الله يرسل الملائكة بالكتب إلى الرسل، فالملائكة هم الذين يبلغون الكتب إلى الرسل، وهذا أيضا يقتضي أن نبدأ بهم في الكلام.

"باب الإيمان بالملائكة"

قد جرت عادة أهل العلم عند إنشاء الكلام في باب من أبواب العلم أن يفسروا ألفاظ

---

(١) البقرة: ١٥٨.

(٢) صحيح مسلم (ك: الحج، ب: حجة النبي ﷺ: ١٢١٨).

(٣) البقرة: ٢٨٥

(٤) النساء: ١٣٦

ترجمة هذا الباب ، ليعطوا تصورا عاما عن الباب وما يرد فيه، وترجمة الباب الذي ننشئ الكلام فيه اليوم مشتملة على كلمتين: الإيمان، والملائكة.

معنى كلمة (الإيمان) :

معنى الإيمان في اللغة: الإيمان مشتق من فعل "أَمِنَ" من الأمن، الذي هو ضد الخيانة، ومعناه: التصديق مع الأمن، فالإيمان في اللغة : تصديق مخصوص.

والفرق بين مطلق التصديق والإيمان: أن لفظ الإيمان لا يستعمل إلا في تصديق الأمور المغيبة، فلو قال شخص مثلا في وضح النهار: الشمس طالعة. فنقول له: صدَّقْنا ذلك، ولا نقول له: آمنا بذلك. لأنه لم يؤتمن على شيء في خبره، إما لرؤيتنا الشمس طالعة أو لتحققنا من وقوع ذلك لأمارات معلومة وإن لم نشاهد طلوع الشمس، أو لإمكان التحقق من ذلك حال وقوع الخبر. فالأمر الغائب هو الذي يؤتمن عليه المخبر، فيقال لتصديق خبره إيمان؛ لائتمانه على صحة الخبر.

معنى الإيمان اصطلاحا: قد اصطلح السلف وأهل السنة على أن الإيمان هو: تصديق القلب، واللسان، والجوارح. تصديق القلب يكون بالاعتقاد، وتصديق اللسان يكون بالإقرار، وتصديق الجوارح يكون بالعمل، فهذه الأمور مجتمعة هي مسمى اسم (الإيمان) إذا أطلق.

معنى كلمة (الملائكة)

معنى (الملائكة) لغة : الملائكة جمع، مفرده مَلَكٌ، ولأهل العلم في اشتقاقه قولان:

القول الأول: إنه مشتق من "أَلَكَ"، مهموز الأصل، والميم فيه زائدة، فيكون "ملائكة" على وزن "مفاعلة". وهذا قول جمهور أهل العلم.

فلفظ الملائكة أصله من "الألوك"، وهو الرسالة.

قال الشاعر:

أبلغ النعمان عني ملأكاً

يعني رسالة.

وقال آخر:

ألكني إليها وخير الرسول أعلمهم بنواحي الخبر.

"ألكني" يعني: أرسلني.

فمعنى لفظ الملائكة على هذا الاشتقاق: الرسل، وسميت الملائكة بهذا الاسم للرسالة؛ لأنها رسل الله بينه وبين أنبيائه، ورسله لتنفيذ أوامره في تدبير الكون.

القول الثاني: إنه مشتق من "مَلَك" غير مهموز الأصل، والهمزة فيه زائدة، فيكون "ملائكة" على وزن "فعائلة"، فلفظ الملائكة على هذا أصله:" الملك" وهو الأخذ بالقوة، من الفعل "مَلَكَ" الذي يدل على قوة في الشيء وشدة، ومنه قولهم: مَلَكْتُ العجينَ، أي: شددت عجنه.

وسميت الملائكة به؛ لأنهم أولوا قوة وشدة، وقد وصفهم الله بذلك في كتابه، قال تعالى: ﴿ مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾[1]. وأعمالهم التي يقومون بها تحتاج إلى قوة وشدة.

والمعنيان مجتمعان مؤتلفان في الملائكة؛ فهم رسل الله، يرسلهم الله إلى من شاء من عباده، وما شاء من أمر يدبرونه، وهم أولوا قوة وشدة، يدبرون بأمر الله شئون الكون موكلون بالجمادات والحيوانات والنباتات والأرض والسموات، وهذه الأعمال التي يقومون بها تحتاج إلى قوة وشدة.

والقول الأول هو قول الأكثرين، وهو الأشهر، وهو الأرجح؛ لأنه يشهد له الشاهد اللغوي والشاهد الشرعي، وهو الذي يؤيده المقتضى المعنوي، وفيما يلي تفصيل ذلك:

أما الشاهد اللغوي: فإن أصل كلمة ملك "ملأك" بالهمزة، وإنما قالوا "ملك" للتخفيف، إذالعرب تستخف ما تستثقله، والهمزة مستثقلة، فلذلك ألقوها تخفيفا، وقالوا: ملك، وقد ورد في كلام العرب إجراء مفرده على الأصل مهموزاً، ومنه قول الشاعر:

فلست لإنسي ولكن لملأك تحدر من جو السماء يصوب.

وإنما كان استعماله بغير الهمز أكثر وأشهر في كلام العرب؛ لكثرة ما يجري في الكلام؛ فألزموه التخفيف.

وأما الشاهد الشرعي: فإن الله تعالى وصفهم بالرسالة في القرآن الكريم في مواضع عدة من وجوه، وهي كما يلي:

---

(١) التحريم: ٦

١- سماهم الله رسلا: قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾[٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ﴾[٩]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[١٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾[١١]، وكذلك سماهم الله عز وجل سفرة، فقال تعالى: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾[١٢]، والسفارة: هي الرسالة.

٢- أخبر أنه أرسلهم ويرسلهم: قال تعالى: ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا

---

(١) فاطر: ١

(٢) الحج: ٧٥

(٣) الأنعام: ٦١

(٤) الأعراف: ٣٧

(٥) يونس: ٢١

(٦) الزخرف: ٨٠

(٧) هود: ٦٩

(٨) العنكبوت: ٣١

(٩) العنكبوت: ٣١

(١٠) الحجر: ٦١

(١١) المرسلات: ١

(١٢) عبس: ١٥

وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾[2].

٣- وصف الملائكةُ أنفسهم بأنهم رسل الله: قالت الملائكة لنبي الله لوط ﷺ: ﴿ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ ﴾[3]، وقال جبريل ﷺ لمريم عليها السلام: ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾[4].

٤- أخبرت الملائكة عن أنفسهم بأنهم أُرْسِلُوا: قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾[6].

٥- وصفهم الأنبياء بالرسالة: قال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾[7].

وأما المقتضى المعنوي: فإن هذا الاشتقاق أرجح أيضا من جهة ما يُشعر به اللفظ من معنى ؛ فإنه يدل على أن الملائكة إنما هم رسل ، وأنهم إنماينفذون أمر الله الذي أرسلهم به، وأنهم يبلغون الرسالة فقط، وأنه ليس لهم من الأمر شيء فوق هذا ، وهذا المعنى ينبغي الاعتداد به؛ فإنه بحمله على الاشتقاق من الملك الذي هو القوة والشدة قد يوهم أن الأمر بيد هم هم ؛ وأن التدبير تدبيرهم هم ، ولكنه إذا علم أنهم رسل من الله تعالى، وأنهم ينفذون أمر المرسل فقط انقطع عنه هذا التوهم، ولذلك كان هذا المعنى أولى وأرجح،فهو أصون للاعتقاد، والله أعلم.

تنبيه: إن كلمة الملائكة أصلها "ملائك"، ثم لحقتها التاء، ولأهل العلم في هذه التاء قولان:

---

(١) الأحزاب: ٩

(٢) الأنعام: ٦١

(٣) هود: ٨١

(٤) مريم: ١٩

(٥) هود: ٧٠

(٦) الحجر: ٥٨

(٧) الحجر: ٥٧

١- فقيل: هي تاء التأنيث، وأدخلت على الكلمة لكونها جمعا، ومعلوم أن كل جمع مكسر في حكم المؤنث في لغة العرب[١]، ولذلك ورد استعمال لفظ الملائكة على وجهي التذكير والتأنيث، فمن التذكير قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾[٣]، ومن التأنيث قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾[٤].

٢- وقيل: هي تاء المبالغة، وتدل على المبالغة في الصفة التي تضمنها الاسم، كما يقال: للعالم علامة، وللفاهم فهامة، وللرحَّال رحالة، فيكون معنى الملائكة: الذين بلغوا الغاية في أداء الرسالة، فيؤدونها كما ينبغي أن يكون الأداء، دون تقصير أو مجاوزة، وهذا متسق مع وصف الله تعالى إياهم بأنهم: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[٥].

وكون التاء هنا للمبالغة أولى من كونها للتأنيث؛ لأنها إذا حملت على المبالغة أفادت معنى جديدا، وأما إذا حملت على التأنيث فغايتها الدلالة على الجمع، واللفظ دال عليه بدونها، فلا جديد فيها، والتأسيس أولى من التأكيد، والله أعلم.

المراد بـــ (الملائكة) إصطلاحا:

لم ينقل عن السلف وأهل السنة وضع تعريف اصطلحوا عليه للملائكة،بل أمرُّوه على ما جرت عادتهم به في الألفاظ الشرعية أن يطلقوها على ما أطلقها عليه الشرع من غير تكلف وضع ألفاظ تفسيرية يجعلونها تعريفا مصطلحا عليه ، ولكن نشأ عند المتكلمين إيراد وضع يُتخذ تعريفا للملائكة ودونوه في كتبهم، واشتهر من جهتهم في المتأخرين؛ فاصطلحوا على تعريف الملائكة بأنهم: (أجسام لطيفة نورانية لها القدرة على التشكل بأشكال مختلفة،

---

(١) ومن اللطائف في هذا قول الناشد : إن قومي تحزبوا .. وبقتلي تحدثوا
لا أبالي بجمعهم .. كل جمع مؤنث

(٢) الرعد: ٢٣

(٣) الأنعام: ٩٣

(٤) آل عمران: ٤٥

(٥) الأنبياء: ٢٧

ومسكنها السموات).

ولكن هذا التعريف عليه ملاحظات إجمالية وتفصيلية.

أما الملاحظة الإجمالية العامة، فهي أن منشأ هذا التعريف إنما هو من أهل الكلام، وهو مأخوذ عنهم ، وهم جهة مشبوهة غير مأمونة على الشرع ولا على اللغة ، أما الشرع فلأنهم مبتدعة أمرهم رد ، فكيف يؤتمن على تفسير الألفاظ الشرعية من أمره مردود في الشرع؟! ، وأما اللغة فلأنهم ليسوا من أهل العربية ، ومن كان منهم عربي النسب فليس هو من أهل الاحتجاج بلغته ، ولأنهم أدخلوا في العربية ماليس منها بوازع من اعتقاداتهم ، حملوا ألفاظا في العربية على معان لم تعرف في العربية فهي ليست في لغة العرب ؛ لم تسمع منهم ولا تحتملها قياسات لغتهم ، وإنما فعلوا ذلك لتقرير عقائد باطلة اعتقدوها _ كما هو معروف في مواضع عدة ، كحملهم لفظ (الاستواء) على معنى (استولى) لينفوه عن الله ، وهو معنى لا يعرف في العربية لاسماعا ولا قياسا كما قرر الخليل وابن الأعرابي وغيرهما من أئمة اللغة _ ، فكيف يؤتمن على اللغة من يلعب فيها هواه ؟! .

وأما الملاحظات التفصيلية فمن وجوه، وهي كما يلي:

١- إنهم قالوا في تعريف الملائكة بأنهم "أجسام"، وهذه بدعة لغوية، لأن لفظ الجسم في اللغة هو الجسد والبدن والجثة، كما نقله الجوهري والأصمعي وأبو زيد وغيرهم من أئمة اللغة، وهي لاتسمي الروح جسما ولا الهواء جسما ولا النور جسما ولا نحوذلك مما لم يكن جثة وجسدا ، فعلى هذا لا يصح إطلاق لفظ الجسم على الملائكة لغة ، فإن الملائكة أرواح؛ قال الله في وصف جبريل عليه السلام ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ﴾[1] ، وقال : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾[2] ، وهذا وإن كان في ذكر جبريل إلا إن جنس الملائكة واحد .

وهو بدعة شرعية أيضا ، فإن الشرع استعمل لفظ الجسم استعمال اللغة لم يتجاوزه ،

---

(١) مريم : ١٧.

(٢) الشعراء : ١٩٣.

و قد ذكر الله لفظ الجسم في كتابه في موضعين:

أحدهما: عند إخباره عن طالوت، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾[1].

والآخر: في قوله تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ﴾[2]. والمراد بالجسم في كلا الموضعين: البدن.

و لم يذكر في الملائكة لفظ الجسم قط بل هم أرواح كما تقدم ، والروح ليست جسما في اللغة .

ولا يصح نقل لفظ عن معناه في اللغة والشرع إلى معنى آخر في اصطلاح لا يوافق استعمال اللغة والشرع ، ومن دافعنا عن اللغة التي تفسر بها الألفاظ وعن الشرع الذي يتدين به فقد بطلت حجته .

٢- أن المتكلمين أنفسهم اختلفوا في ضبط تعريف لفظ الجسم ، فلم يتفقوا على معنى واحد اصطلحوا عليه ، فمنهم من يقول : هو مايشار إليه ، ومنهم من يقول: هو المركب من المادة والصورة ، ومنهم من يقول : هو المركب من الجواهر المفردة ، ومنهم من يقول غير هذا . فنقول : اصطلحوا على تعريف للجسم أولا ثم ننظر في وجه وصف الملائكة به .

٣- إن هذا التعريف لم يتضمن أمورا هامة عن الملائكة، فصَّل الله القول فيها في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، وهي أعدادهم، ووظائفهم، وإنما اشتمل على ذكر خلقهم، ومسكنهم فقط، وأغفل ذكر مهامهم، وهو أولى وأهم.

و(الملائكة) لفظ معلوم معناه المستعمل فيه من أدلة الشرع ، فإن دعت حاجة علمية شرعية لتحرير مدلوله بتعربف ضابط فلعل الأنسب أن يقال في تعريف الملائكة بأنهم: (خَلْقٌ من نورٍ، لا يعلم عددهم إلا الله، قائمون على عبادة الله وتدبير شئون الكون بأمره سبحانه). فهذا التعريف مشتمل على بيان خلقتهم من حيث الجملة، وعلى بيان كثرتهم، وعلى بيان وظائفهم التي خلقوا من أجلها، ولذلك كان أولى من المشتهر المنقول عن المتكلمين ، والله

(١) البقرة: ٢٤٧

(٢) المنافقون: ٤

أعلم .

المحاضرة الثانية في ١٤١٦/٥/٨هـ

معنى الإيمان بالملائكة:

معناه تصديق القلب واللسان والجوارح بهم. ويكون تصديق القلب باعتقاده وجود الملائكة، وبتصديقه بما ورد في شأنهم في الكتاب والسنة تصديقا جازما لا شك فيه. ويكون تصديق اللسان بإقراره بوجودهم وبما ورد في شأنهم في الكتاب والسنة، والتحدث بذلك، والإخبار عنه، وتعليمه، وتعلمه، وغير ذلك مما يكون باللسان. وتصديق الجوارح يكون بالعمل بمقتضى ما وقر في القلب وجرى على اللسان.

ومن صور إيمان الجوارح بالملائكة : الاقتداء بهم في أعمال الإيمان، فيعمل المؤمن كما تعمل الملائكة، وذلك مشروع بالكتاب والسنة؛ وهناك أمثلة كثيرة توضح ذلك، وفيما يلي ذكر بعضها:

١ – إن الله أمر المؤمنين فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾

[1] وهذا الذي أمر الله به المؤمنين قد وصف به الملائكة فقال تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾[2] فهذا دليل على أن الله تعالى أمرنا بأمر عليه الملائكة، فهم قدوة فيه.

٢- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[3]؛ فقد أمر الله المؤمنين في هذه الآية الكريمة بالاقتداء بالملائكة في الصلاة على النبي ﷺ.

٣- عن جابر بن سمرة ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟» فقلنا: يا رسول الله! وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: يُتِمُّون الصفوفَ الأُوَلَ ويتراصُّون في الصف»[4]. فالنبي ﷺ أمر بالاقتداء بالملائكة في إقامة الصفوف وإتمامها.

ومن صوره أيضا مراعاة الاحتراز عنما فيه إيذاء لهم ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من أكل من هذه البقلةِ الثومِ –وقال مرة: «من أكل البصلَ والثومَ والكراثَ– فلا يقربن مسجدنا؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»[5]؛ فالنبي ﷺ نهى عن حضور المسجد لمن أكل ثوما أو بصلا أو كراثا؛ وعلل النهي بأن الملائكة تتأذى من ذلك. فهذه صور من صور جريان العمل على الجوارح.

مترلة الملائكة:

الملائكة خلق جليل، ولهم مترلة عظيمة عند الله تعالى، وقد ذكرهم الله في كتابه، ووصفهم بأوصاف حميدة وأفعال عظيمة تدل على علو مترلتهم ومكانتهم عند الله تعالى.

---

(١) الحجرات: ١

(٢) الأنبياء: ٣١

(٣) الأحزاب: ٥٦

(٤) أخرجه مسلم (ك: الصلاة، ب: الأمر بالسكون في الصلاة...ح: ٤٣٠).

(٥) أخرجه مسلم (ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: نهي من أكل ثوما وبصلا أو كراثا أو نحوها ح: ٥٦٤).

وفيما يلي بيان ذلك:

١- **وصفهم الله بأنهم المقربون:** قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[1]؛ فهم مقربون إلى الله تعالى مكانا ومكانة.

٢- **وصفهم الله بأنهم كرام:** قال تعالى: ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾[5]؛ فهم كرام خَلْقاً وخُلُقاً، وكرام على الله، كرَّمهم الله سبحانه وتعالى، وطهَّرهم من الدنس والنقائص والرذائل، والكريم هو: المتره عن النقائص والعيوب، والجامع للخير والفضائل والشرف.

٣- وصفهم الله بأنهم بررة: قال تعالى: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[6]؛ فهم مطهرون ذاتا وصفاتٍ وصفاتٍ وأفعالا، لأنهم مخلوقون من نور، وصفاتهم حميدة كريمة عالية، وأفعالهم كلها حسنة وطاعة وعبادة لله عز وجل.

٤- وصفهم بأنهم الملأ الأعلى: قال تعالى: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[7] وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[8]؛ فهم الأعلون مكانا ومكانة.

٥- لقد أقسم الله بهم في غير آية، وهو سبحانه لا يقسم إلا بعظيم: قال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١﴾[9] وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾[1].

---

(١) النساء: ١٧٢

(٢) الانفطار: ١١

(٣) عبس: ١٦

(٤) الأنبياء: ٢٦

(٥) الذاريات: ٢٤

(٦) عبس: ١٦

(٧) الصافات: ٨

(٨) ص: ٦٩

(٩) الصافات: ١

٦- قرن الله تعالى ذكرهم بذكره في مواضع كثيرة في القرآن الكريم على أمور عظيمة، وفيما يلي ذكرها:

أ- قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[٢] فقرن الله شهادتهم بشهادته على ألوهيته سبحانه.

ب- قال تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ﴾[٣] فقرن شهادتهم بشهادته على أن القرآن من عنده سبحانه.

ج- قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[٥]؛ فقرن الله صلاتهم بصلاته على النبي والمؤمنين.

فمنزلتهم عظيمة جليلة، ولهذا يجب على المسلم أن يعظم قدرهم ويجلهم، بحبه إياهم، والتأدب في ذكرهم وعدم تنقصهم؛ فموالاتهم إيمان، وعداوتهم كفر، قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾[٦]؛ فيجب محبتهم وموالاتهم والتأدب في ذكرهم وعدم تنقصهم، لأن تنقصهم يعد من صفات الكافرين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴾[٧].

وقد شرع الله التأدب معهم على لسان رسوله ﷺ؛ وفيما يلي ذكر شيء من ذلك:

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من أكل من هذه البقلةِ الثومِ

---

(١) المرسلات: ١

(٢) آل عمران: ١٨

(٣) النساء: ١٦٦

(٤) الأحزاب: ٤٣

(٥) الأحزاب: ٥٦

(٦) البقرة: ٩٨

(٧) النجم: ٢٧

-وقال مرة: «من أكل البصلَ والثومَ والكراثَ- فلا يقربن مسجدنا؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»[(١)]؛ فالنبي ﷺ نهى عن حضور المسجد لمن أكل ثوما أو بصلا أو كراثا؛ وعلل النهي بأن الملائكة تتأذى من ذلك.

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق أمامه فإنما يناجي الله ما دام في مصلاه، ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكا، وليبصق عن يساره، أو تحت قدمه، فيدفنها»[(٢)]. فالنبي ﷺ نهى المصلي عن البصاق في جهة يمينه إكراما وتأدبا معه للملك.

ولمنزلتهم جعلهم الشرع قدوة للمؤمنين في كثير من أعمال الإيمان كعدم التقدم بين يدي الله ورسوله، والصلاة على النبي ﷺ، وإقامة الصوف في الصلاة وغيرها من الأعمال الصالحة. وقد سبق الحديث عن ذلك مع ذكر الأدلة لها بشيء من التفصيل.

ومن التأدب معهم الصلاة والسلام عليهم إذا ذكروا، قال النووي: (أجمعوا على الصلاة على نبينا محمد ﷺ، وكذلك أجمع من يعتد به على جوازها واستحبابها على سائر الأنبياء والملائكة استقلالا)[(٣)].

فينبغي التأدب معهم وتعظيمهم التعظيم الشرعي، بلا إفراط ولا تفريط، فلا يجوز الغلو في تعظيمهم غلوا يجاوز الحد كما فعل الكفار الذين عبدوهم من دون الله، ولا يجوز جفاؤهم جفاء ينقص من مقامهم كما فعل الكفار الذين اتخذوهم أو بعضهم أعداء لهم.

خلق الملائكة:

الملائكة خلقوا من نور، فعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»[(٤)]. وأما صفة هذا النور الذي الذي خلقت منها الملائكة فهي مجهولة غير معلومة لنا فلا ينبغي الخوض فيها.

وقد روي عن بعض الصحابة والسلف الكلام عن هذا النور وصفته، فروي عن عبد

---

(١) أخرجه مسلم (ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: نهي من أكل ثوما وبصلا أو كراثا أو نحوها ح: ٥٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (ك: الصلاة، ب: دفن النخامة في المسجد ح: ٤١٦).

(٣) الأذكار(باب: الصلاة على الأنبياء وآلهم تبعا لهم صلى الله عليهم وسلم ص: ٢٠٧).

(٤) أخرجه مسلم (ك: الزهد والرقائق، ب : في أحاديث متفرقة ح: ٢٩٩٦).

الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما موقوفا عليه أنه قال: "خلق الله عز وجل الملائكة من نور الصدر والذراعين"[(١)]،وعلى هذه الرواية مأخذان :

الأول : أنها من طريق أبي أسامة الكوفي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبدالله بن عمرو ، فهي من رواية العراقيين عن هشام عن أبيه ، وهشام عرف بالتسهل لأهل العراق في ما يرويه عن أبيه فكان بعد أن صار إليهم يحدث فيهم عن أبيه بما كان سمعه من غير أبيه عن أبيه ولم يسمعه هو من أبيه ، وقد أنكر عليه أهل بلده في الحجاز ذلك ، فنقم مالك عليه حديثه لأهل العراق وإرساله عن أبيه فيهم ، فالرواية فيها تدليس هشام لأنه رواها عن أبيه بالعنعنة والراوي عنه عراقي ، فهي ضعيفة السند .

الثاني :أن الرواية ذاتها مخرجة من ذات الطريق وليس فيها لفظ (الصدر والذراعين)[(٢)]، وهذا اختلاف يوجب حصول الوهم .

وقد ذكرت عن ابن عمرو رواية ضعيفة فيها التصريح بأن الصدر والذراع هو صدر الله وذراعه، ولكن الروايات الواردة بذلك كلها في أسانيدها مقال ، وفي متنها نكارة شديدة؛ لأن فيها أن الملائكة جزء من الله تعالى، وهذا نظير قول النصارى في المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، وهو كفر .

و لئن صحت هذه الروايات عن ابن عمرو فهي من الإسرائيليات، فهو لم يرفعها وقد ثبت أنه كان قد أصاب يوم اليرموك وسقين فيهما من كتب الأوائل، فكان ينظر فيها ويحدث منها ، وعرف ذلك عنه حتى كانوا يقولون له: حدثنا مما سمعت من رسول الله، ولا تحدثنا مما وجدت يوم اليرموك.

وروي عن عكرمة مولى ابن عباس أنه قال: " خلقت الملائكة من نور العزة"[(٣)] ولكن سنده ضعيف، وكذلك روي عن يزيد بن رومان أنه بلغه أن الملائكة خلقت من

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ٤٧٥/٢ح١٠٨٤ وابن مندة في الرد على الجهمية ٩١ح٣٤،و أبو الشيخ في العظمة ٧٣٣/٢ح٣١٥.

(٣) أخرجها البزار ٤٤٠/٦ح٢٤٧٥.

(٣) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٧٢٨/٢).

روح الله عز وجل[1]، ولكن سنده أيضا ضعيف وهو مقطوع.

وقد رويت أحاديث مرفوعة ولكنها موضوعة أو ضعيفة جدا، وكذلك ذكرت آثار موقوفة على بعض الصحابة وبعض السلف: أن الملائكة تخلق من جبريل أو من ملك آخر يغتسل في نهر الجنة أو في الحمراء أو في الكوثر ثم ينتفض، فيخلق من كل قطرة ملك، أو أن الملائكة تخلق من دموع الملائكة، من كل قطرة ملك، وعللوا ذلك حسب زعمهم بأنها نطفة خشية وليست نطفة شهوة، أو أن الملائكة تخلق من تسبيح بعض الملائكة، من كل تسبيحة ملك، ولكن هذا كله باطل ومردود، لعدم ثبوته عن المعصوم ﷺ ولا عن من حكيت عنهم ونسبت إليهم ، وإنما ذكرنا ذلك لوروده ، فمن المناسب العلم به .

زمن خلق الملائكة:

لا شك أن الملائكة خلقوا قبل البشر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[3]؛ فهذا كله دليل واضح على أن الملائكة خلقت قبل البشر.

ولعل الملائكة خلقت قبل الجن أيضا، وذلك لقوله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»[4]؛ فقد يستفاد منه ترتيب زمن الخلق أيضا فيكون خلق الملائكة قبل خلق الجن، والله أعلم.

وقد قام الدليل الصحيح على أن الملائكة خلقت قبل خلق الجنة والنار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لما خلق الله الجنة قال لجبريل: اذهب فانظر إليها. فذهب فنظر

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢/٧٢٧).

(٢) البقرة: ٣٠

(٣) الحجر: ٢٨-٣١

(٤) حديث صحيح، أخرجه مسلم، وقد سبق تخريجه في (ص:).

إليها، ثم جاء فقال: أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها. ثم حفها بالمكاره، ثم قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها. فذهب فنظر إليها، ثم جاء فقال: أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد». قال: «فلما خلق الله تعالى النار قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، ثم جاء فقال: أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد، فيدخلها، فحفها بالشهوات، ثم قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها. فذهب فنظر إليها، ثم جاء فقال: أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها»[1]؛ فهذا الحديث دليل واضح على أن خلق الملائكة متقدم على خلق الجنة والنار.

وعن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال لجبريل عليه السلام: «ما لي لم أر ميكائيل ضاحكا قط؟ قال: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار»[2].

ونقل عن بعض السلف كأبي العالية والربيع بن أنس أن الملائكة خلقت يوم الأربعاء، ولكن لا نعلم لهم مستندا في ذلك، وقد يستأنس لذلك بحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء...» الحديث[3].

والشاهد هنا أن النبي ﷺ أخبر أن الملائكة خلقت من نور، وأخبر أن النور خلق يوم الأربعاء، فإن كان هذا النور هو الذي خلقت منه الملائكة ؛ وكانت خلقت يوم خلق النور ؛ فهو دليل صحة دعوى أن الملائكة خلقت يوم الأربعاء، والله تعالى أعلم.

هل خلقت الملائكة دفعة واحدة أم على دفعات متفرقة؟ : لم يرد في ذلك دليل صريح ولكن قد وردت الأحاديث الموضوعة والضعيفة التي ذكرنا بعضها قبل قليل أنها خلقت دفعة واحدة، وورد في بعضها أنها خلقت شيئا فشيئا، وبالنظر يميل الخاطر إلى أن

---

(١) أخرجه أبوداود (ك: السنة، ب: في خلق الجنة والنار ح: ٤٧٤٤)، والترمذي (ك: صفة الجنة، ب: حفت الجنة بالمكاره، وحفت الجنة بالشهوات ح: ٢٥٦٠)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، والنسائي (ك: الأيمان والنذور، ب: الحلف بعزة الله تعالى ح: ٣٧٦٣)، والحاكم في المستدرك (ك: الإيمان ح: ٧١-٧٢)، وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥٥/٢١ ح: ١٣٣٤٣) وغيره ولكنه حديث ضعيف الإسناد.

(٣) أخرجه مسلم (ك: صفة القيامة والجنة والنار، ب: ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام ح: ٢٧٨٩).

الملائكة خلقت مرة واحدة ؛ لأنهم هم المكلفون بتدبير شؤون الكون، فيناسب أن يكونوا قد خلقوا جملة واحدة، ليقوموا بشؤون الكون جملة واحدة، ولكن هذا ميل خاطر لمحض نظر فلا يكون علما معتبرا في هذا الباب الغيبي الذي لاعلم فيه معتبر إلا ماورد في الخبر الثابت .

منزلة الإيمان بالملائكة من الدين:

الإيمان بالملائكة واجب، وهو أحد أركان الإيمان، وركن الشيء هو ما لا يقوم الشيء إلا به، ودليل ركنيته ذكره في أركان الإيمان في حديث جبريل المشهور ، وفيه: أنه قال للنبي ﷺ: أخبرني عن الإيمان. فقال له النبيﷺ: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[1]. فلا يصح الإيمان إلا بالإيمان بالملائكة.

وقد جاءتالأدلة دالة على وجوب الإيمان بهم من وجوه منها:

١– بين الله أن الإيمان بهم من البر: قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[2].

٢– بين الله أن من صفات المؤمنين التي امتدحهم بها، و استحقوا لها اسم الإيمان الإيمان بالملائكة ، قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾[3].

٣– بين الله سبحانه أن الكفر بالملائكة ضلال بعيد: قال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[4].

٤– بين الله سبحانه أن انتقاص الملائكة من عمل الكافرين: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا

---

(١) جزء من حديث جبريلعليه السلام، أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، (ك: الإيمان، ب: سؤال جبريل عن النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان ح: ٥٠)، ومسلم (ك: الإيمان، ب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان... ح: ٩ وأيضا من حديث عمر بن الخطاب ٣٦/١–٣٧ ح: ٨)، واللفظ له.

(٢) البقرة: ١٧٧

(٣) البقرة: ٢٨٥

(٤) النساء: ١٣٦

يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴾[1].

٥- بين الله سبحانه أن من عادى الملائكة فهو عدو لله كافر: قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾[2]. فمعاداة الملائكة معاداة لله وكفر به، وهذا يدل بمفهومه أن محبة الملائكة وموالاتهم إيمان.

وكل آية وحديث فيها ذكر للملائكة فيهادليل لوجوب الإيمان بهم ، فهي أخبار يجب الإيمان بها.

المحاضرة الثالثة في ١٤/٥/١٤١٦هـ

(١) النجم: ٢٧

(٢) البقرة: ٩٨

صفة الإيمان الواجب على العبد بالملائكة:

الإيمان بالملائكة يجب إجمالا وتفصيلا، فما أجمل نؤمن به على وجهه الذي ورد به من الإجمال، وما فُصِّلَ نؤمن به على وجهه الذي ورد به من التفصيل.

وجميع ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مما يخص الملائكة يمكن إجماله في أربعة أصول هامة، وهي:

١-أسماؤهم ٢-أعدادهم

٣-أوصافهم ٤-أعمالهم ووظائفهم.

وكل واحد من هذه الأصول فيه إجمال وتفصيل، فنؤمن بالمجمل على وجهه الذي ورد عليه من الإجمال، ونؤمن بالمفصل على وجهه الذي ورد عليه من التفصيل، ونشرع الآن في بيان ذلك وإيضاحه:

أولا: أسماء الملائكة:

إن أسماء الملائكة جاءت على وجهين: وجه الإجمال ووجه التفصيل. فنذكر أولا ما جاء منها على وجه الإجمال، ثم يأتي الحديث عما جاء منها مفصلا، فأقول:

أسماء الملائكة إجمالا: هناك أسماء أطلقت على الملائكة، وهي أسماء عامة لهم، فمنها:

١- الملائكة: وقد تقدم الكلام عنه.

٢- الْمَلَك: قال تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَا﴾[1]، والمراد بالملك هنا جنس الملائكة.

٣- الملأ الأعلى: قال تعالى: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾[3]؛ والملأ في لغة العرب يطلق على الأشراف والرؤساء والمقدمون، مشتق من الامتلاء، وإنما سمي الأكابر والمقدمون ملأً لامتلائهم بالفضائل والشرف والكرامة، وتسمية اللائكة ملأ لهذا المعنى فيهم عليهم السلام ، وقد جمع الله إلى

---

(١) الحاقة: ١٧

(٢) الصافات: ٨

(٣) ص: ٦٩

تسميتهم بهذا الاسم الشريف وصفه بالأعلى، فقال: ﴿ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾؛ والعلو المراد هنا علو المكانة والمكان فهم من أشراف الخلق الذين سكناهم السماوات .

٤- جنود الرب: قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾[٢] والجيم والنون والدال أصل يدل على التجمع والنصرة، وإنما سموا بذلك لوجود معنى التجمع فيهم ولكثرتهم، ولأن الله تعالى جَنَّدَهم في تدبير شئون الكون وسخرهم لتنفيذ أوامره سبحانه.

٥- الأشهاد: قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[٥].

قال: مجاهد والسدي: الأشهاد: الملائكة. وقال مقاتل: هم الحفظة من الملائكة.

وعلى هذا فمن أسماء الملائكة (الأشهاد) ، وهذه التسمية مأخوذة كما دلت عليه الآيتان من الشهادة، وهي الإخبار بما وقع، و من الشهود، وهو بمعنى الحضور، لأنهم يحضرون الموقف.

ولكن الذي يظهر من الآيتين السابقتين أن هذا الاسم ليس خاصا بالملائكة، وإنما المقصود به كل من يشهد يوم القيامة، سواء كان الملائكة أو النبيون أو غيرهم، قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿

---

(١) المدثر: ٣١

(٢) الأحزاب: ٩

(٣) هود: ١٨

(٤) غافر: ٥١

(٥) ق: ٢١

(٦) النساء: ٤١

يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[1]، فالذين يشهدون يوم القيامة ليسوا هم الملائكة فقط بل يشاركهم في ذلك غيرهم أيضا، وكذلك إذا أخذنا المعنى الثاني له وقلنا بأن الأشهاد مأخوذ من الشهود بمعنى الحضور فهذا أيضا ليس بخاص بالملائكة بل كل من يحضر الموقف من الملائكة وغيرهم يسمون أشهادا، والله أعلم بالصواب.

أسماء الملائكة بالتفصيل:

أسماؤهم المفصلة الواردة في الكتاب والسنة على وجهين: تسمية طوائف وتسمية أفراد.

أسماء بعض طوائف الملائكة: هناك أسماء أطلقت على بعض طوائف الملائكة وجماعاتهم، ومنها:

١- الزبانية: وهو اسم لخزنة النار، وهي الجماعة من الملائكة التي تتولى خزانة جنهم، قال تعالى: ﴿ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾[2]. وسموا بذلك لأنهم يزبنون أهل النار في النار زبنا، أي: يدفعونهم فيها دفعا شديدا.

٢- المعقبات: قال تعالى: ﴿ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾[3].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر...» الحديث[4].

وسموا بالمعقبات لوجهين :

١- كونهم يتعاقبون على العبد من بين يديه ومن خلفه.

٢- كونهم يتعاقبون في الليل والنهار ويخلف بعضهم بعضا.

---

(١) النور: ٢٤

(٢) العلق: ١٨

(٣) الرعد: ١١-١٢

(٤) أخرجه البخاري (ك: مواقيت الصلاة، ب: فضل صلاة العصر ح: ٥٥٥)، ومسلم (ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ح: ٦٣٢).

٣- الحفظة: قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[٢]. فمن الملائكة من يقوم بحفظ بني آدم بأمر الله تعالى، ولذلك سموا بالحفظة. وسيأتي إن شاء الله في الكلام على وظائف الملائكة ذكر أقوال أهل العلم في الحفظة هل هم المعقبات أنفسهم أم غيرهم ؟.

٤- السفرة: قال تعالى: ﴿ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴾[٣]، وهم طائفة من الملائكة، يتولون حفظ الصحف والكتب التي تنزل على الأنبياء، وهو مشتق من السفارة بمعنى الإصلاح ، تقول العرب: سفرتُ بين القوم؛ أي: أصلحتُ بينهم، فسموا به لأنهم يتولون ما فيه إصلاح أحوال الناس مع ربهم ، وهو الوحي الذي فيه مراد الله من خلقه .

٥- الكروبيون: هذا الاسم لم يرد في الكتاب، و لم يرد مرفوعا إلى النبي ﷺ في حديث صحيح، ولكنه ورد ذكره موقوفا على بعض الصحابة كابن عباس حيث نقل عنه أنه قال في حديث تجلي الرب وإتيانه يوم القيامة: (...يأتي الرب تبارك وتعالى في الكروبيين، وهم أكثر من أهل السموات السبع والأرضين...)[٤]. وهو مشهور عند أهل العلم تداولته كتب العلم .

والكروبيون هم سادات الملائكة وحملة العرش ومن حوله، روى الطبري عن أبي العالية أنه قال: جبريل من الكروبيين.

وهذا اللفظ قد اختلقوا في اشتقاقه على قولين: فقيل: إنه مشتق من كرب بمعنى قرب ودنا، والكاف مبدلة من القاف، سموا بذلك لقربهم قرب مكانة. وقيل : مشتق من كرب، بمعنى اشتد وقوي، ومنه يقال: مفاصل مكربة؛ أي: قوية وشديدة، وعلى هذا تكون تسميتهم

---

(١) الأنعام: ٦١

(٢) الرعد: ١٢

(٣) عبس: ١٥

(٤) أخرجه الدارمي في الرد على بشر المريسي (ص: ٥٣)، والحاكم في المستدرك (ك: الأهوال برقم: ٨٦٩٩) وقال: (رواة هذا الحديث عن آخرهم محتج بهم غير علي بن زيد بن جدعان القرشي، وهو إن كان موقوفا على ابن عباس، فإنه عجيب بمرة). وقال الذهبي: إسناده قوي! وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣/٣١٦) في سورة القرفان: (مداره على علي بن زيد بن جدعان، وفيه ضعف في سياقاته غالبا، وفيها نكارة شديدة).

به لقوتهم وشدتهم، وهذه القوة والشدة في صفاتهم الخَلْقية و الخُلُقِية.

٦- سيارة وسياحون: وهم الملائكة الذين يسيرون في الأرض، ويلتفون حول حلق الذكر، ولذلك سموا بالسيارة لسيرهم في الأرض، والسياحون من السياحة، وهي الانتشار فهم ينتشرون في الأرض.

وأما أسماء الأفراد منهم ، فمنها:

١- جبريل: وهو أمين الملائكة ومقدمهم ورئيسهم، وقد كثر ذكره في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وذلك لأنه هو الذي نزل بالقرآن على سيدنا ونبينا محمد ﷺ، وكان ملازما له ﷺ، وكان يترل عليه كثيرا، والآيات التي ذكر فيها هي قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾[2].

وأما مواضع ذكره في السنة النبوية فكثيرة جدا لا تكاد تحصى.

ولفظ جبريل كلمة أعجمية سريانية، وقعت فيه موافقةٌ من حيث المعنى للغة العرب، لأن الجبر هو إصلاح ما وهى، وجبريل موكل بالوحي الذي يحصل به الإصلاح العام.

وقيل: إنه عربي، مشتق من الجبر، وهو القهر، ومنه جبروت الله، وقيل: مشتق من الجبر الذي هو بمعنى الرجل الشجاع، ومنه يقال: أنعم صباحا أيها الجبر.

ولكن القول بأن لفظ جبريل عربي بعيد عن الصواب، ومما يدل على أن لفظ جبريل أعجمي، وليس عربيا -الأمور التالية:

١- اتفاق علماء اللغة على منعه من الصرف للعلمية والعجمة.

٢- كثرة اللغات فيه حتى بلغت ما يقارب ثلاثة عشر لغة، على عادة العرب أنها إذا نطقت بالأعجمي خلّطت فيه .

---

(١) البقرة: ٩٧-٩٨

(٢) التحريم: ٤

٣- أن جميع أوزان لغاته ليست على أوزان لغة العرب إلا لفظ "جِبْرِيل"، فإنه على وزن قنديل، أخضعوه لأوزانهم، ليسهل نطقه في كلامهم، لا لأنه من لغتهم.

وأهم اللغات فيه خمس، أربعة منها وردت بها القراءات المتواترة ، والخامسة جرت على لسان رسول الله ﷺ، والأربعة التي وردت بها القراءات المتواترة هي:

الأولى: جَبْرَئِيل، وهي قراءة الكوفيان حمزة والكسائي، ويسهلهاحمزة في الوقف فقط .

الثانية: جَبْرَئِل، وهي رواية شعبة عن عاصم.

الثالثة: جِبْرِيل، وهي قراءة نافع ، وأبو عمرو، وابن عامر ، ورواية حفص عن عاصم .

الرابعة: جَبْرِيل، وهي قراءة ابن كثير المكي.

والخامسة التي صحت عن رسول الله ﷺ هي: جَبْرَائِيل، فقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: سألت عائشة أم المؤمنين: بأي شيء كان نبي الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللهم رب جَبْرَائِيلَ ومِيْكَائيلَ وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[1]. وقد ورد الحديث في روايات أخرى بلفظ: «جِبْرِيل».

وجبريل عليه السلام قد سماه الله عز وجل بأسماء أخرى في القرآن الكريم.

فسماه بالروح: قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾[3]، وقال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[4]؛ فهذه ثلاثة أحوال شريفة ذُكِر فيها الروح على وجه الخصوص من بين الملائكة، وهي: العروج إلى الرب سبحانه، والنزول بالأمر من الله إلى الأرض، والقيام لرب العالمين يوم القيامة. وذكر الروح في هذه الآيات على وجه الخصوص من بين الملائكة يدل على عظيم

---

(١) أخرجه مسلم (ك: صلاة المسافرين وقصرها، ب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه ح: ٧٧٠).

(٢) المعارج: ٤

(٣) النبأ: ٣٨

(٤) القدر: ٤

قدره عند الله تعالى.

ويلاحظ أنه ذكر في العروج والنزول وهما من أمور الدنيا مؤخرا في الترتيب، وذكر في القيام لرب العالمين يوم القيامة مقدما في الترتيب ، وفي ذلك دلالة لطيفة على عظيم قدره وشريف مقامه ؛ لأنه في أمور الدنيا المتعلقة بالتدبير والتنفيذ يكون متأخرا بعد الملائكة لأن المقام مقام متابعة وملاحظة وإشراف فيكون من ورائهم ، ولكن عند القيام لرب العالمين يكون أولا متقدما عليهم لأن المقام مقام رئاسة وإمامة فله فيه الصدارة.

والمراد بالروح في هذه الآيات جبريل عليه السلام على الصحيح من أقوال أهل العلم بالتفسير، وقد سماه الله بذلك في مواضع أخر لا خلاف في أنه هو عليه السلامالمراد فيها ، فقال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾[1] ، وقال: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾[2] وقال: ﴿ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې﴾[3]، وجبريلعليه السلام هو الذي أرسل إلى مريم وهو الذي نزل بالقرآن على قلب النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي الآيتين الأخيرتين تسميته عليه السلام بالروح موصوفا بالأمين مرة ومضافا إلى القدس ، وسيأتي الكلام في ذلك في الصفات إن شاء الله.

وقد نقل عن بعض السلف أن الروح ملك مستقل ، وليس هو جبريل عليه السلام ، وذكر من صفاته غير الوارد في جبريل ولكن ذلك غير ثابت عنهم[4].

٢- ميكائيل: وهو الملك الموكل بالقطر، وقد ورد ذكره في الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾[5].

(١) مريم: ١٧
(٢) الشعراء: ١٩٣
(٣) النحل: ١٠٢
(٤) أنظر العظمة ٣/٣٦٣.
(٥) البقرة: ٩٨

وجاء في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللهم رب جَبْرَائِيْلَ ومِيْكَائيلَ وإسرافيل فاطر السماوات والأرض...». الحديث المذكور قبل قليل .

وعن سمرة قال: قال النبي ﷺ: «رأيت الليلة رجلين أتياني، فقالا: الذي يوقد النار مالكٌ خازن النار، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل»[1].

وعن أبي بن كعب ﷺ عن النبي ﷺ قال: « أتاني جبريل وميكائيل، فقعد جبريل عن يميني، وميكائيل عن يساري، فقال جبريل: يا محمد! اقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزده، فقلت: زدني، فقال: اقرأه على ثلاثة أحرف، فقال: ميكائيل: استزده، فقلت: زدني، كذلك حتى بلغ سبعة أحرف...» الحديث[2] إلى غير ذلك من الأحاديث التي ورد فيها ذكر ميكائيل عليه السلام.

وفي لفظ ميكائيل لغات عديدة، ثبتت ثلاثة منها في القراءات المتواترة، وهي:

١- مِيْكَال، وهي قراءة أبي عمرو وروايةحفص عن عاصم.

٢- مِيْكَائل، وهي قراءة نافع.

٣- مِيْكَائيل، هي قراءة الباقين من القراء ، ولحمزة التسهيل في الوقف مع المد والقصر.

٣- إسرافيل: وهو الملك الموكل بالنفخ في الصور، وجاء ذكره في الأحاديث النبوية ومنها حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللهم رب جَبْرَائِيْلَ ومِيْكَائيلَ وإسرافيل فاطر السماوات والأرض...».

والناظر في هذه الأسماء يجد في جميعها لفظ: "إيل"، وقد روي عن ابن عباس وعكرمة وغيرهما أن كل اسم فيه "إيل" بالعبرانية فهو معبد لله عز وجل ، ولكن اختُلف في تركيبه على قولين :

---

(١) أخرجه البخاري (ك: بدء الخلق، ب: إذا قال أحدكم آمين...ح: ٣٢٣٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦٩/٣٥ ح:٢١١٣٢) والنسائي (ك: صفة الصلاة، ب: جامع ما جاء في القرآن ح: ٩٤١)، وغيرهما، والحديث مروي عن جماعة من الصحابة، وقد صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (ح: ٧٨) وفي السلسلة الصحيحة (ح: ٨٤٣).

فقيل: إن "إيل" معناه "الله" وما قبله ألفاظ تعبيد، فـــ " جبر " و " ميك " و "إسراف" ألفاظ تعبيد ، وهذا كما تقول في العربية : عبد الله وعبيد الله وعبَّاد الله ونحوه .

وقيل: عكس ذلك؛ أي: إن "إيل" معناه " عبد " وما قبله اسم لله عز وجل ، كما تقول في العربية : عبدالله وعبد الرحمن وعبد الرحيم .

ويؤيد القول الثاني أن الاسم المضاف في لغة غير العرب غالبا يتقدم فيه المضاف إليه على المضاف ، وأن تعدد أسماء الله أكثر جدا من تعدد ألفاظ التعبيد ، والعلم بهذا يحمل على كل لغة بلا ريب .

٤– مالك: وهو اسم خازن النار، وقد ورد ذكره في الكتاب والسنة ، قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾[1]. وعن سمرة قال: قال النبي ﷺ: «رأيت الليلة رجلين أتياني، فقالا: الذي يوقد النار مالكٌ خازن النار، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل»، وهذا الحديث في صحيح البخاري، وقد سبق ذكره قريبا.

وإثبات الكاف في اسمه هي القراءة ، وفي قراءة ابن مسعود ورويت عن علي: "يا مالِ" يعني بالترخيم، ويذكر عن بعض السلف أنه لما سمعها قال: ما أشغل أهل النار عن الترخيم؟ وأجيب باحتمال أنهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وانقطاع نفَسهم، وأنهم لا يستطيعون إتمام الكلمة لشدة ما هم فيه من النكال الشديد والعذاب الأليم.

٥و٦– هاروت وماروت: هما اسمان لملكين جعلهما الله فتنة للعباد في تعليم السحر، قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[2].

٧و٨– المنكر والنكير: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قبر الميت –أو قال: أحدكم– أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما، المنكر، والآخر: النكير، فيقولان:

---

(١) الزخرف: ٧٧

(٢) البقرة: ١٠٢

ما كنت تقول في هذا الرجل؟...»الحديث[1].

وهذه التسمية فيها دلالة على شدة مهمتهم وهولها وعظم شأنها حتى إنه ناسب لها أن يكون هذان هما اسميهما .

وقد أنكر بعض الناس هذين الاسمين بدعوى أنهما اسمان منكران ولا يليقان بالملكين، وأجيب عن ذلك بأنهما منكران من حيث أن الميت لا يعرفهما، لا لكونهما منكرين في ذواتهما، وهذا مثل ما جاء في القرآن الكريم عن الملائكة الذين جاءوا إلى إبراهيم وإلى لوط عليهما السلام، قال تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾[3].

فإبراهيم عليه السلام ولوط عليه السلام كلاهما قالا للملائكة الذين جاءوا إليهما بأنهم قوم منكرون وما ذلك إلا لأنهما ما كانا يعرفانهم، فكذلك حال المنكر والنكير بالنسبة للميت، وكذا منكران من جهة صفتهما التي يأتيان عليها للعبد كما سيأتي ذكره إن شاء الله في الكلام على الصفات .

وقد ذكر ابن يونس من الشافعية أن اسم ملكي المؤمن اللذين يفتنانه في القبر مبشر وبشير ، وليس لهذا دليل كما قال السيوطي في أرجوزته :

وضبط منكر بفتـــح الكاف .. فلست أدري فيه من خلاف

وذكر ابن يونس من صحبنا .. أن اللـــذين يأتيان المؤمنـــا

اسمهـــما البشـــير والمبشـــر .. و لم أقف في ذا على ما يؤثر

ونحن كذلك لا نعلم في هذا رواية ولا قول قائل غير ابن يونس هذا .

وحكى ابن القيم عن المعتزلة دعواهم أنه لايجوز تسمية ملائكة الله بمنكر ونكير ، قالوا : إنما المنكر ما يبدو من تلجج العبد إذا سئل ، والنكير تقريع الملكين له ، وهذا شأن المعتزلة لا

---

(١) أخرجه الترمذي (ك: الجنائز، ب: ما جاء في عذاب القبر ح: ١٠٧١) وغيره، والحديث حسنه الألباني، وأورده في السلسلة الصحيحة (ح: ١٣٩١).

(٢) الذاريات: ٢٥

(٣) الحجر: ٦١-٦٢

يأبهون إن صادموا قول صاحب الشرع بما يكذبه ، نعوذ بالله من أقوالهم ومنهج اعتقادهم .

٩- الرعد : وهو أحد أعوان ميكائيل عليه السلام في القيام بشؤون القطر ، جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنه أن اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ وسألوه أسئلة منها قولهم: أخبرنا ما هذا الرعد؟ قال: «ملك من ملائكة الله عز و جل موكل بالسحاب بيده -أو في يده- مخراق من نار يزجر به السحاب، يسوقه حيث أمر الله» قالوا: فما هذا الصوت الذي يسمع؟ قال: «صوته». قالوا: صدقت ....الحديث[1] ، وفي الحديث دلالة على خطأ تسمية صوت هذا الملك بـــ " الرعد " ، فإن هذا اسمه هو وما يسميه الناس رعدا إنما هو صوته .

ومن الأسماء التي ذكرت للملائكة و لم ترد في القرآن الكريم، و لم تثبت عن النبي ﷺ:

١- رضوان، وهو اسم خازن الجنة.

٢- عزرائيل، وهو ملك الموت، وقد ورد هذا موقوفا.

٣- إسماعيل، ورد في رواية عن أبي سعيد مرفوعا ، وفي سندها متروك وقد كُذِّب[2] .

المحاضرة الرابعة في ١٤١٦/٥/١٥هـ

مسألة: هل تسمى الملائكة جنا أم لا؟

ذهب بعض أهل العلم إلى أن الملائكة تسمى جنا، وأن اسم الجن يصح أن يطلق علما على الملائكة، وقد استندوا في ذلك إلى قوله سبحانه: ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًاۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾[3] فقالوا: المراد بالجنة في الآية الملائكة. وقالوا: العرب تعرف في لغتها

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/٢٨٤-٢٨٥ ح:٢٤٨٣).

(٢) أنظر العظمة ٣/٨٦١.

(٣) الصافات: ١٥٨

إطلاق الجن على الملائكة، ومنه قول الأعشى:

وسخر من جن الملائك تسعة		قياما لديه يعلمون بلا أجر.

فأطلق على الملائكة اسم الجن، وكذلك الملائكة مستورون عن الأبصار، وهذا موافق لتسميتهم بالجن، ولذلك إطلاق اسم الجن على الملائكة –حسب رأيهم– إطلاق صحيح.

ولكن الصحيح المختار: أن الملائكة لا تسمى جنا، فإن الجن علم على الجنس المعروف، ولا يصح إطلاقه على الملائكة، وإذا أطلق الجن في القرآن والسنة فالمراد به الجنس المعروف لا الملائكة، وقد ورد الجمع بين اللفظين: الجن والملائكة في موضع واحد مع تغاير في المعنى، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾[1]؛ فهذه الآية تدل على أن الجن جنس آخر غير الملائكة.

وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ على صحة تسمية الملائكة بالجن فغير صحيح، لأن المراد بالجنة في الآية الجن، والنسب المذكور هو ما زعمه المشركون: أن الجن أصهار الله، وأن الملائكة نتجت من هذه المصاهرة، ولذلك كان المشركون يقولون: الملائكة بنات الله وأمهاتهم سروات الجن.

وكذا احتجاجهم لذلك باللغة غير سليم، لأنه لا يعلم في لغة العرب إطلاق لفظ الجن على الملائكة.

وأما البيت المذكور؛ فقد ذكر الشاعر لفظ الجن فيه من باب الصفة لا من باب العلمية، فهو وصفهم بالاجتنان والاستتار، ولذلك لم يكتف بوصفهم بالجن بل سماهم باسمهم المعروف ليتعين الموصوف .

والملائكة فيهم معنى الاستتار، وإذا أردنا أن نصفهم بلفظ الجن للدلالة على الاستتار فلا بد من قرينة تبين أن المراد بهم الملائكة، فلا يصح القول بإطلاق لفظ الجن عليهم من باب العلمية، والله أعلم.

هل يشرع تسمية الآدميين بأسماء الملائكة؟

---

(١) سبأ: ٤٠–٤١

في هذه المسألة قولان لأهل العلم:

القول الأول: يكره تسمية الآدميين بأسماء الملائكة مثل جبرائيل وميكائيل، وذكر البغوي أن عمر ﷺ كره ذلك، وذهب إلى هذا القول الإمام مالك وحُمَيْد بن زنجويه والبغوي وغيرهم من أهل العلم، وقالوا: لم يأتنا عن أحد من الصحابة ولا التابعين أنه سمى ولدا له باسم أحد من الملائكة ، وكره بعضهم العجمة في التسمية وأسماء الملائكة أعجمية، فاحتج مالك لكراهة التسمي بأسماء الملائكة بنهي عمرﷺ عن الرطانة ، وكره الشافعي لمن عرف العربية أن يسمي بغيرها . ومن وجوه الكراهة أن المسمى بأسماء الملائكة قد يتعرض للسب والشتم فيقع تنقص أسماء الملائكة، وقد ورد في حديث أن النبي ﷺ قال: «لا تسموا بأسماء الملائكة» ولكن هذا الحديث في إسناده نظر كما قال البخاري في تاريخه الكبير[1].

القول الثاني: لا بأس في تسمية الآدميين بالملائكة بل هذا مستحب، وقد استظهر هذا القول الحارث بن مسكين وحماد بن أبي سليمان، ومستندهم في ذلك استحباب التسمي بأسماء الأنبياء والصالحين، ويدل على ذلك ما جاء في حديث المغيرة بن شعبة ﷺ قال: لما قدمت نجران سألوني فقالوا: إنكم تقرؤون: ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ﴾[2]، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا. فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك، فقال: «إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم»[3].

وهذا من شرع من قبلنا، ولم يرد في شرعنا نسخ له بل أيده النبي ﷺ بتسمية ابنه إبراهيم، ولا شك أن الملائكة من الصالحين، فيستحب التسمي بأسمائهم.

ولكن يحرم تسمية النساء بأسماء الملائكة، ومن ذلك تسمية البنت ملاك أو ملكة، وذلك لأن فيها مضاهاة للمشركين في جعلهم الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم علوا

---

(١) التاريخ الكبير (٥/٣٥ في ترجمة عبد الله بن جراد برقم: ٦٣).

(٢) مريم: ٢٨

(٣) أخرجه مسلم (ك: الآداب، ب: النهي عن التكني بأبي القاسم، وبيان ما يستحب من الأسماء ح: ٢١٣٥).

كبيرا.

ملاحظة لطيفة: إن ممن كره التسمي بأسماء الملائكة الإمام مالك رحمه الله ، واسمه "مالك" اسم من أسماء الملائكة ، ومع العلم بأن تسميته به لم تكن منه لنفسه إذ هي تسمية والديه له ، والعلم بأن المنقول عنه رحمه الله إنما هو كراهة التسمي بــ جبريل ونحوه من الأعجمي ، فإن من لطيف العلم في التسمي باسم مالك أنه لايلزم أن يكون من التسمي بأسماء الملائكة لوجهين:

١-أن العرب كانت تسمي بهذا الاسم قبل نزول القرآن.

٢- أن اسم مالك عربي الاشتقاق، معناه معروف في لغة العرب.

فالتسمي به إنما تقع به الموافقة لاسم من أسماء الملائكة ليس إلا.

ثانيا: أعداد الملائكة.

إن النصوص في أعداد الملائكة جاءت على وجهين: مجمل ومفصل.

أما المجمل فقد دلت النصوص على أن عددهم كثير جدا، ولا يعلم عددهم إلا الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[١]

وجاء في حديث الإسراء المتفق عليه: « فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم...»[٢]. فالبيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، وإذا دخل أحدهم ثم خرج لا يعود عليه الدور مرة أخرى، فتأمل كم دخل البيت المعمور من الملائكة منذ خلقه الله تعالى إلى الآن، وكم سيدخله إلى يوم القيامة، لا شك أن عددهم كبير جدا، لا يتخيله عقل ولا يحسبه إنسان، ولا يعلم عددهم إلا الله تعالى.

---

(١) المدثر: ٣١

(٢) أخرجه البخاري (ك: بدء الخلق، ب: ذكر الملائكة صلوات الله عليهم ح: ٣٢٠٧)، واللفظ له، ومسلم (ك: الإيمان، ب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات ح: ١٦٢).

وفي حديث آخر: «أتسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء. قال: إني لأسمع أطيط السماء، وما تلام أن تئط، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم»[1]. وفي بعض ألفاظ الحديث: «من السماء الدنيا»، فهذا الحديث أيضا مما يدل على كثرة الملائكة.

وأما المفصل فقد وردت النصوص بذكر أعداد معينة محصاة للملائكة الذي يقومون بأعمال خاصة، وفيما يلي ذكر ذلك وبيانه:

قال تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾[2]، فهذا عدد معين محصور لطائفة مخصوصة من الملائكة، وهم حملة العرش، وقد ورد في حديث ضعيف: «هم اليوم أربعة، ويوم القيامة ثمانية».

قال تعالى: ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾[3] يعني: على ا لنار تسعة عشر ملكا، وهذا أيضا عدد مخصوص لطائفة مخصوصة من الملائكة، وهناك قول ضعيف بأنهم تسعة عشر صفا ولكن الراجح أنهم تسعة عشر ملكا؛ لأنهم إذا كانوا تسعة عشر صفا لا تحصل به الفتنة، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[4] فقد زعم بعض المشركين أنهم يستطيعون أن يغلبوا على هذا العدد المعين المحدود فكان فتنة لهم، ومما يؤكد ضعفه أيضا أنهم إذا كانوا تسعة عشر صفا فيكون عددهم غير محصور، وقد حصرهم الله تعالى في تسعة عشر.

وهذا العدد التسعة عشر ليسوا هم جميعا خزنة جهنم، وإنما هم رؤساؤهم، ولهم أعوان كثيرون، منهم الذين يجرون جهنم، ففي صحيح مسلم من حديث عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام

(١) هذا الحديث مروي عن غير واحد من الصحابة منهم حكيم بن حزام وأنس بن مالك وغيرهما، انظر: السلسلة الصحيحة (ح: ٨٥٢ و١٠٥٩و١٠٦٠).

(٢) الحاقة: ١٧

(٣) المدثر: ٣٠

(٤) المدثر: ٣١

سبعون ألف ملك يجرونها»[1]. الملائكة التسعة عشر الذين جاء ذكرهم في الآية هم رؤساء خزنة جنهم وكبراؤهم.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قبر الميت -أو قال: أحدكم- أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما، المنكر، والآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟...» الحديث. فالذين يتولون فتنة الميت في قبره أحصاهم رسول الله ﷺ وسماهم المنكر والنكير، وهذا الحديث قد تقدم ذكره مع شيء من التفصيل حول تسميتهما بذلك.

المحاضرة الخامسة في ١٤١٦/٥/٢١هـ.

ثالثا: صفات الملائكة:

وردت النصوص في صفات الملائكة على وجهين: مجمل ومفصل.

وأما الصفات العامة المجملة التي يتماثل فيها الملائكة فهي كثيرة وفيما يلي ذكر جملة منها:

١- أنهم مخلوقون من نور: فقد ثبت في صحيح مسلم عن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم» وهذا الحديث قد سبق ذكره وتخريجه عند الحديث عن خلق الملائكة.

---

(١) أخرجه مسلم (ك: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب: في شدة حر نار جهنم، وبعد قعرها، وما تأخذ من المعذبين ح: ٢٨٤٢).

وورد عن بعض السلف أن الملائكة خلقوا صُمْدا لا أجواف لهم، وهو مروي عن يحيى بن أبي كثير بسند ضعيف مقطوع ولعلها من الإسرائيليات ولكن ظواهر النصوص الشرعية تشهد لصحة هذا القول وتؤيده، ووجه ذلك:

أ- أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون، كما دل على ذلك قصة ضيف إبراهيم، وذلك يشهد لصحة كونهم صمدا لا أجواف لهم، لأنه لا بد لمن يأكل ويشرب أن يكون له جوف.

ب- دلت ظواهر النصوص الشرعية أن الملائكة لا يتناكحون ولا يتناسلون، لأن الله تعالى نفى عنهم الأنوثة ولم يصفهم بالذكورة، وإنما وصفهم بقوله سبحانه: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾[(١)]، وهذا أيضا مما يوافق كونهم صمدا، وأنهم لا أجواف لهم، والله أعلم.

٢- الملائكة أولي أجنحة وهم يتفاوتون في عددها، وقد يشترك جماعة في مقدار العدد من الأجنحة الذي له : قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[(٢)].

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم...» الحديث[(٣)].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم. قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا...»[(٤)].

---

(١) الأنبياء: ٢٦

(٢) فاطر: ١

(٣) أخرجه أبو داود (ك: العلم، ب: الحث على طلب العلم ح: ٣٦٤١)، والترمذي (ك: العلم، ب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة ح: ٢٦٨٢) وغيرهما، وهو حديث حسن على أقل تقدير.

(٤) أخرجه البخاري (ك: الدعوات، ب: فضل ذكر الله عز وجل ح: ٦٤٠٧)، واللفظ له، ومسلم (ك: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ب: فضل مجالس الذكر ح: ٢٦٨٩).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما قتل أبي جعلت أكشف الثوب عن وجهه أبكي، وينهوني عنه والنبي ﷺ لا ينهاني، فجعلت عمتي فاطمة تبكي، فقال النبي ﷺ: «تبكين أو لا تبكين ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه»[1].

فهذه النصوص من الكتاب والسنة تدل على أن الملائكة لهم أجنحة، وهي أجنحة حقيقية ، والأجنحة في من كانت له بمنزلة اليد من الإنسان ، و أصل لفظها في لغة العرب: من جنح بمعنى مال، لأنها تميل عن جانبي المتصف بها ، ويدل على أنها حقيقية تعددها فقد قال الله تعالى عنها بأنها: ﴿ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ ﴾، وقوله ﷺ: «لتضع أجنحتها» يدل على أنها حقيقية توضع حقيقة في خلقتها، وفي ذلك كله إبطال لقول من ادعى أن المقصود بالأجنحة معنىً هو القدرة والقوة لا أن لهم أجنحة على الحقيقة كما زعم بعض المتأخرين.

٣- الملائكة لهم أعين: ويدل على ذلك أن ملك الموت لما جاء إلى موسى عليه السلام ضربه موسى عليه السلام على عينه ففقأها. وجاء في وصف إسرافيل عليه السلام قوله ﷺ: «كأن عينيه كوكبان دريان»[2].

٤- الملائكة يسمعون: وقد دلت على ذلك أدلة منها ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا تكلم بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل...» [3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدا نادى

---

(١) أخرجه البخاري (ك: الجنائز، ب: الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه ح: ١٢٤٤)، ومسلم (ك: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، ب: من فضائل عبد الله بن عمرو بن حرام، والد جابر، رضي الله تعالى عنهما ح: ٢٤٧١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (ك: الأهوال ح: ٨٦٧٦) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الذهبي على شرط مسلم، وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/٣٦٨).

(٣) أخرجه أبو داود (ك: السنة، ب: في الرد على الجهمية ح: ٤٧٣٨)، وابن حبان كما في الإحسان (١/٢٢٣-٢٢٤ ح: ٣٧)، وذكره البخاري في (ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [سبأ: ٢٣] تعليقا بصيغة الجزم موقوفا على ابن مسعود رضي الله عنه .

جبريل: إن الله قد أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله قد أحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في أهل الأرض»[1]. والنداء لا يكون إلا لمن يسمع.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة، يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف، وجاءوا يستمعون الذكر...» الحديث[2].

وكذلك هناك ملائكة موكلون بكتابة أعمال العباد، وهؤلاء الملائكة وظيفتهم تقتضي أنهم يسمعون ويبصرون وإلا لم يمكنهم أداء وظيفتهم المقتضية تقييد مايُرى من أعمال العباد وما يُسمع من أقوالهم .

٥- الملائكة لهم آذان: قد جاء في السنة النبوية النص الواضح الصريح على أن الملائكة لهم آذان؛ فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش: إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»[3] ، وهذا وإن كان في معين من الملائكة إلا أن لفظ الحديث مشعر بأن الأذن صفة في جنس الملائكة ، فقوله ﷺ في سياق الحديث:(شحمة أذنه) لم يعلقه ببيان اختصاص هذا المعين بالأذن ، بل ورد في صورة العهد بأن للملائكة آذان ، وما اختص بذكره هنا في هذا الملك المعين إنما هو ذكر بعد مابين أذنه وعاتقه.

٦- الملائكة لهم أيد وأكف: ومما يدل على أن الملائكة لهم أيد وأكف قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾[4].

---

(١) أخرجه البخاري (ك: التوحيد، ب: كلام الرب تعالى مع جبريل، ونداء الله الملائكة ح: ٧٤٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (ك: بدء الخلق، ب: ذكر الملائكة صلوات الله عليهم ح: ٣٢١١)، ومسلم (ك: الجمعة، ب: فضل التهجير يوم الجمعة ح:٨٥٠).

(٣) أخرجه أبو داود (ك: السنة، ب: في الجهمية ح: ٤٧٢٧)، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح: ١٥١).

(٤) الأنعام: ٩٣

وعن حنظلة الأُسَيِّدِيِّ – وكان من كتاب رسول الله ﷺ– قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده! إنْ لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم، وفي طرقكم...» الحديث[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم...» [2].

فهذا كله مما يدل على أ ن الملائكة لهم أيد وأكف.

٧– الملائكة لهم قلوب: يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾[3].

٨– الملائكة يشمون الروائح: وقد دلت على ذلك أدلة منها ما جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من أكل من هذه البقلةِ الثومِ –وقال مرة: «من أكل البصلَ والثومَ والكراثَ– فلا يقربن مسجدنا؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»؛ فهذا الحديث يدل بمنطوقه على أن الملائكة يشمون الروائح الكريهة فإن هذا هو معنى تأذيها ، فقد مثله بتأذي بني آدم وإنما يتأذون في ذلك من شم الريح ، ويدل بمفهومه أنهم يشمون الروائح الطيبة أيضا، وورد عن النبي ﷺ أنه أمر بالتسوك لقراءة القرآن وعند حضور الصلاة، وأخبر أن الملائكة تحضر، فيكون أمره بالتسوك احترازا من أن يظهر من الفم رائحة كريهة تتأذى منها الملائكة، وكان النبي ﷺ يتطيب ويتسوك من أحسن ما يكون من الطيب والسواك، لأنه كان يناجي جبريل ﷺ، وقال الشعبي: كان سلمان أصاب مسكا من بلنجر، فأعطاه امرأته ترفعه، فلما حضر قال لها: أين الذي كنت استودعتك؟ قالت: هو هذا، فأتته به. قال: رشيه حولي؛ فإنه يأتيني خلق من خلق الله لا يأكلون الطعام، ولا يشربون الشراب،

---

(١) أخرجه مسلم (ك: التوبة، ب: فضل دوام الذكر ح: ٢٧٥٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٣/٤١٠ ح:٨٠٤٣)، وابن حبان كما في الإحسان (١٦/٣٩٦ ح: ٧٣٨٧)، وفي الإسناد ضعف ولكن الحديث صحيح بطرقه وشواهد.

(٣) سبأ: ٢٣

يجدون الريح[١]، ووجدان الريح هو معنى شمه ، فهذا كله مما يدل على أن الملائكة يشمون الروائح .

٩- الملائكة يكتبون: وقد دلت على ذلك أدلة كثيرة من الكتاب والسنة، منها قوله تعالى: ﴿ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴾[٢].

وعن رفاعة بن رافع الزرقي ﷺ قال: كنا يوما نصلي وراء النبي ﷺ، فلما رفع رأسه من الركعة قال: «سمع الله لمن حمده». قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمدا طيبا مباركا فيه. فلما انصرف قال: «من المتكلم؟». قال: أنا. قال: «رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أول»[٣].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكا بأربع كلمات: فيكتب عمله، وأجله، ورزقه، وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح...» الحديث [٤].

وكذلك يدل على ذلك ما سبق ذكره قريبا من أن الملائكة يأتون يوم الجمعة ويقفون عند أبواب المساجد ويكتبون الأول فالأول، فهذا كله يدل دلالة واضحة صريحة على أن الملائكة يكتبون.

١٠- الملائكة يتكلمون: لا شك أن الملائكة يتكلمون، فقد وردت في ذلك أدلة كثيرة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفيما يلي ذكر وجوه منها:

أ- كلام الملائكة مع الرب عز وجل: إن الملائكة يتكلمون مع الله عز وجل، وقد دلت على ذلك أدلة كثيرة ومن أوضح تلك الأدلة ما ذكره الله تعالى عنهم فقال سبحانه:

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٤١٥/٣ برقم: ٦١٤٢)، بإسناد لا يقل عن درجة الحسن.

(٢) الانفطار: ١١

(٣) أخرجه البخاري (ك: الأذان، الباب الذي بعد باب: فضل: «اللهم! ربنا لك الحمد» ح:٧٩٩).

(٤) أخرجه البخاري (ك: أحاديث الأنبياء، ب: خلق آدم وذريته ح: ٣٣٣٢)، واللفظ له، و مسلم (ك: القدر، ب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه... ح : ٢٦٤٣).

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم –وهو أعلم بهم–: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون»[2]. وكلام الملائكة يكون على هيئات الكلام فيه سؤال وجواب واسم وفعل وحرف وصوت.

ب- كلام الملائكة مع الأنبياء عليهم السلام: قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ

---

(١) البقرة: ٣١-٣٢

(٢) أخرجه البخاري (ك: مواقيت الصلاة، ب: فضل صلاة العصر ح: ٥٥٥)، ومسلم (ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ح: ٦٣٢).

(٣) الذاريات: ٢٤-٣٤

وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾ [(١)]؛ فهذا حوار دار بين الملائكة وبين إبراهيم عليه السلام وأهله، وبين الملائكة وبين لوط عليه السلام.

وعن عائشة زوج النبي ﷺ: أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت، فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله عز و جل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم علي، ثم قال: يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك؛ لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؛ فقال له رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا» [(٢)]. فهذا حوار جرى بين النبي ﷺ وبين جبريل وملك الجبال. وكذلك من المعلوم الثابت أن جبريل كان يأتي

---

(١) هود: ٦٩-٨١

(٢) أخرجه البخاري (ك: بدء الخلق، ب: إذا قال أحدكم: آمين...ح: ٣٢٣١)، ومسلم (ك: الجهاد والسير، ب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ح: ١٧٩٥).

النبي ﷺ وكان يحادثه بالوحي، فهذا كله يدل على كلام الملائكة مع الأنبياء عليهم السلام.

ج- كلام الملائكة مع الصالحين: مما يدل على كلام الملائكة مع الصالحين قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾[1]. وكذلك مما يدل على كلام الملائكة مع بعض الناس من الصالحين وغيرهم قصة مجيء الملك إلى نفر من بني إسرائيل: الأبرص والأعمى والأقرع، وكلامه معهم. والحديث مخرج في الصحيحين[2].

د- كلام الملائكة مع أهل الجنة: مما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾[3].

هـ- كلام الملائكة مع أهل النار: مما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾[5].

و- كلام الملائكة فيما بينهم: فيدل عليه أن الجن كانوا يسترقون السمع من السماء،

---

(١) مريم: ١٧-٢١

(٢) صحيح البخاري (ك: أحاديث الأنبياء، ب: حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل ح: ٣٤٦٤)، ومسلم (ك: الزهد والرقائق ح: ٢٩٦٤).

(٣) الرعد: ٢٣-٢٤

(٤) الزخرف: ٧٧

(٥) غافر: ٤٩-٥٠

كما قال تعالى: ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾[1]. فهذا يدل على أنهم يتكلمون في السماء.

فهذه أدلة ونماذج مختلفة لكلام الملائكة فهم يتكلمون مع الرب جل وعلا ويتكلمون مع الأنبياء والمرسلين ويتكلمون مع الصالحين ويتكلمون فيهما بينهم ويتكلمون مع أهل الجنة ويتكلمون مع أهل النار. وفي ذلك رد بالغ على من زعم أن الملائكة تتكلم بلسان الحال دون المقال.

١١- الملائكة يتأذون مما يتأذى منه بنو آدم: إن الملائكة يتأذون مما يتأذى منه بنو آدم وهذا على العموم فكل شيء يتأذى منه بنو آدم تتأذى منه الملائكة، سواء كان هذا الشيء حسيا أو معنويا فهم يتأذون من المعاصي، ويدل على ذلك قوله ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة»[2].وقد تقدم حديث: «إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم».

١٢- الملائكة متصفون بالحياء: إن الحياء صفة خُلُقِيَّةٌ كريمة، وهي من صفات الملائكة، يدل على ذلك حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وفيه قول النبي ﷺ عن عثمان بن عفان ﷺ: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»[3].

١٣- الملائكة خلق عظيم: ومن صفات الملائكة عظم خلقتهم: ومما يدل على ذلك ما جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش: إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»[4].

---

(١) الجن: ٩

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي طلحة ﷺ (ك: اللباس والزينة، ب: تحريم تصوير صورة الحيوان، وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه، وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتا فيه صورة ولا كلب ح: ٢١٠٦).

(٣) أخرجه مسلم (ك: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، ب: من فضائل عثمان بن عفان ﷺ ح: ٢٤٠١).

(٤) أخرجه أبو داود (ك: السنة، ب: في الجهمية ح: ٤٧٢٧)، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح: ١٥١).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ رأى جبريل، له ستمائة جناح[1]. وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: من زعم أن محمد رأى ربه فقد أعظم، ولكن قد رأى جبريل في صورته وخَلْقِه سادًّا ما بين الأفق[2].

١٤- قدرة الملائكة على التمثل والتشكل: ومن صفات الملائكة المجملة قدرتهم على التمثل والتشكل في صور غير صورهم الأصلية، وقد دلت على ذلك أدلة كثيرة من الكتاب والسنة، منها قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[4] وقد ذكر المفسرون أنه جاءها في صورة شاب، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾[5] وكانوا قد تمثلوا في صورة شباب حسان الوجوه. وجاء في السنة النبوية أن جبريل ﵇ كان يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي ﷺ، وأنه جاءه مرة في صورة أعرابي، وقد سبق ذكر قصة الملك الذي جاء إلى ثلاثة من بني إسرائيل في صور مختلفة، فجاء الأبرصَ في صورته، والأعمى في صورته، والأقرعَ في صورته، وجاء في الأحاديث أن الملائكة الذين يقبضون الأرواح يأتون العبد بحسب عمله، إن كان محسنا ففي أحسن هيئة وأجمل صورة بأعظم بشارة، وإن كان مسيئا ففي أشنع صورة وأفضع منظر، فهذا كله يدل على أن الملائكة لديهم قدرة على التمثل والتشكل، وأنهم يتمكنون من ذلك في صور حسنة أحيانا، وفي صور قبيحة أحيانا، بحسب ما يؤمرون به، وبحسب ما يقتضيه المقام.

كيفية تشكل الملائكة وتمثلهم: لم يرد في ذلك شيء في كتاب الله عز وجل، ولا في صحيح سنة رسول الله ﷺ ولكن ورد في حديث ابن عباس في خبر تخيير النبي ﷺ بين أن

(١) أخرجه البخاري (ك: بدء الخلق، ب: «إذا قال أحدكم آمين...» ح: ٣٢٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (ك: بدء الخلق، ب: «إذا قال أحدكم آمين...» ح: ٣٢٣٣).

(٣) الأنعام: ٨-٩

(٤) مريم : ١٧-٢١

(٥) الذاريات: ٢٤

يكون ملكا رسولا أو عبدا رسولا بسند يصل بالشواهد والمتابعات إلى درجة الصحة : (فأقبل جبريل يدنو من الأرض ويدخل بعضه في بعض ويتضاءل) فإن صح هذا اللفظ فهو القول في كيفية تشكل الملائكة .

ويرى الجويني أن ذلك يكون بإزالة ما فضلهم الله وزادهم به عن الخلق، وقال بعضهم: أن ذلك يكون بالفناء، وذهب بعضهم إلى أن ذلك يكون بالتضاؤل والانتفاش، كالقطن إذا جمع بعد أن كان منتفشا، ورجح الحافظ ابن حجر أن ذلك يكون بالخفاء على الرائي[1].

والصحيح أن هذا الأمر من الأمور المغيبة، وهذه الأقوال لا تستند إلى دليل يمكن الاعتماد عليه، فهي آراء محضة في ما بابه محض الخبر .

وأشد منه بطلانا قول المعتزلة الذين يزعمون أن الملائكة لا قدرة لها على التشكل مطلقا، وإنما ذلك تخيل للرائي حسب زعمهم، وقد نحا منحاهم بعض أهل العلم، واستدلوا لذلك بأن عمر ﷺ ذكر عنده الغيلان فقال: (إن أحدا لا يستطيع أن يتحول عن صورته التي خلقه الله عليها ولكن لهم سحرة كسحرتكم، فإذا رأيتم ذلك فأذِّنوا)[2] قالوا : هذا ظاهره ظاهره التعميم فتدخل فيه الملائكة أيضا، ولكن لا حجة لهم فيه؛ لأنه جاء في واقعة معينة وهي قضية ا لغيلان، فالمقصود محصور في المذكور دون تعميم ، كيف وعمر ﷺ قد روى حديث جبريل عليه السلام المشهور وقد وصف الصورة التي جاء جبريل عليها ، وفيها تحول حقيقي ظاهر عن صورته التي خلقه الله عليها ؟!.

---

(١) انظر: فتح الباري (١/٢١).

(٢) ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٦/٣٤٤) وقال: أخرجه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح.

المحاضرة السادسة في ١٤١٦/٥/٢٢هـ.

صفات الملائكة على التفصيل

نبدأ بذكر صفات طوائف منهم:

أولا: من صفات خزنة جهنم: قال تعالى مخبرا عن خزنة جهنم: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1]؛ فهم يدفعون أهل النار إليها دفعا، ويسحبوهم فيها سحبا، والغلظة صفة خُلُقية، فطباعهم غليظة، قد نزعت من قلوبهم الرحمة بأهل النار، والشدة صفة خَلْقية، أي: تركيبهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج، وقد ورد عن عكرمة: أنهم سود الوجوه، كالحة أنيابهم، قد نزع الله الرحمة من قلوبهم، ليس في قلب واحد منهم مثقال درة من الرحمة. وغلظة هؤلاء الملائكة وشدتهم تناسب عملهم الذي يقومون به.

(١) التحريم: ٦

ثانيا: من صفات الملكين الموكلين بالسؤال في القبر: ورد في صفة الملكين الموكلين بالسؤال في القبر أنهما أسودان أزرقان؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قبر الميت -أو قال: أحدكم- أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما، المنكر، والآخر: النكير...». فوصفهم النبي ﷺ بأنهما أسودان أزرقان، ولكن ما وجه الجمع بين اللونين؟ فنقول: إنهما أزرقان زرقة شديدة كالحة حتى يظهر لدكانتها أنهما أسودان، لأن الأزرق إذا اشتد لونه بدا وكأنه أسود ، وهذا كالأخضر إذا اشتد ودكنت خضرته ، ولذا قال الله في الجنتين : ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ أي قد اسودتا من شدة الخضرة كما روي عن ابن عباس ﷺ .

ومما ورد في صفتهما ماأخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن عطاء بن يسار قال : قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب ﷺ : (يا عمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك..) إلى أن قال : (فإذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف ، وبصائرهما كالبرق الخاطف ، يجران أشعارهما ويبحثان القبر بأنيابهما...) الحديث[1].

ومن صفات أفراد الملائكة:

أولا: صفة جبريل عليه السلام:

١- وصف الله جبريل بقوله سبحانه : ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾[2] .

والقوى في أصل لغة العرب: هي عقد الحبل، ومعنى شديد القوى: شديد الأعضاء.

وأما قوله: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ ففي معناه أقوال:

أ- فقيل: ذو مرة؛ أي: ذو قوة. يقال: رجل مرير؛ أي: رجل قوي ذو مرة، وهذا القول ذهب إليه مجاهد وابن زيد والسدي. ويدل عليه قوله ﷺ: «لا تحل ا لصدقة لغني، ولا

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا هكذا مرسلا ورجاله ثقات في القبور ص ٢٣ ، قال البيهقي : (وقد رويناه من وجه آخر عن ابن عباس ، ومن وجه آخر صحيح عن عطاء بن يسار عن النبي ﷺ مرسلا) — الاعتقاد ٢٢٣ - ، قال العراقي : (وصله ابن بطة في الإبانة من حديث ابن عباس)، وقد أخرجه البيهقي موصولا عن عمر من رواية مفضل بن صالح تفرد به وهو ضعيف .

(٢) النجم: ٥-٦

لذي مرة سوي»، ومنه قول العباس بن مرداس:

ترى الرجل الخفيف فتزدريه   وحشو ثيابه أسد مرير

ومنه قول خُفاف بن نَدبة:

إني امرؤ ذو مرة فاستبقني   فيما ينوب من الخطوب صليب

ولا شك أن جبريل ﷺ قوي، فقد قلع مدائن قوم لوط على جناح من أجنحته ثم قلبها عليهم، وصاح بثمود فأصبحوا خامدين. ولكن تفسير قوله تعالى: ﴿ ذُو مِرَّةٍ ﴾ بذي قوة ضعيف؛ لأنه قد وصفه في الآية قبلها بصفة القوة فقال: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ فإذا كان معنى ذو مرة ذا قوة فحسب كان ذلك تكرارا.

ب- وقيل معنى ذو مرة: ذو منطق حسن، وعقل راشد ورأي حصيف، وهذا القول مروي عن ابن عباس، ولعل أصله أن العرب تقول لكل جزل الرأي شديد العقل: ذو مرة، قال الشاعر:

قد كنت قبل لقاكم ذا مرة   عندي لكل مخاصم ميزانه

وهذا التفسير ملائم للغة وجار عليها، ومن حسن منطق جبريل وحصافة عقله: أن الله عز وجل ائتمنه على الوحي إلى جميع أنبيائه ورسله، وهو الذي كان يأتي النبي ﷺ بالوحي، وكان يتلو عليه القرآن ويدارسه، ولا سيما في رمضان.

ج- وقيل معنى ذو مرة: ذو خَلْقٍ عظيم حسن، وهذا المعنى مروي عن قتادة، والعرب تقول للرجل السوي الذي لا عاهة فيه: ذو مرة ، ومنه الحديث في عدم حل الصدقة لذي مرة سوي .

وهذه المعاني كلها صحيحة في وصف جبريل ﷺ،فيقال بها جميعها في معنى " ذي مرة"، والمذهب الأولى في المشترك حمله على جميع معانيه، فيقال في معناه: ذو الصحة والسلامة من كل الآفات الحسية والمعنوية، وهذا يستلزم كمال خلقته وحسنها وجمالها وقوتها، ويستلزم كمال عقله وحسن منطقه وحصافة رأيه، والله تعالى أعلم.

٢- ومن صفات جبريل ﷺ ما وصفه الله تعالى به في قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ

كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾[1].

فالله عز وجل وصف جبريل ﷺ في الآيات المذكورة بأنه رسوله، وبأنه كريم عنده، والله عز وجل لا يختار لرسالته إلا الأكرم عنده والأحب إليه ، فمن كرمه عند ربه أنه من أقرب الملائكة إليه .

قال بعض السلف: مترلة جبريل من ربه كمترلة الحاجب من الملك، ويؤيده حديث تكلم الله بالوحي فإن فيه أن جبريل أول من يسمع ثم هو يبلغ الوحي للملائكة ، ومثله حديث إذا أحب الله عبدا ، وكذا كونه ﷺ هو الواسطة بين الله ورسله .

ووصفه الله بأنه ذو قوة، وهو نفس الوصف الذي تقدم قبل قليل عند ذكر قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾[2].

ووصفه الله بأنه مكين عنده؛ يعني: إن له مكانة عالية عند الله، ومن مكانته عند الله: أن الله تعالى جعله أمينا على وحيه إلى الأنبياء والمرسلين.

ووصفه الله بأنه مطاع في السموات، ومن طاعة الملائكة له: ما جاء في حديث المعراج أنه أمر خازن الجنة أن يفتحها لرسول الله ﷺ، ففتحها له، وأمر خازن النار أن يفتحها ليطلع عليها رسول الله ﷺ ففتح، ومن طاعتهم له: أنه ينادي أهل السماء: أن الله يحب فلانا فأحبوه؛ فيحبونه.

ووصفه الله بأنه أمين، ومن أمانته أن الله ائتمنه على الوحي للرسل، والأمانة ضد الخيانة، وهذا الوصف يقتضي صدقه ونصحه وإلقاءه إلى الرسل ما أمر الله به بأمانة كاملة من غير زيادة ولا نقصان.

فجمع الله له في آيات التكوير بين المكانة والأمانة والقوة والقرب منه تعالى . وهذه الصفات بعضها خَلْقِيَّة كالقوة، وبعضها خُلُقِيَّة، كالأمانة وبعضها معنوي كالمكانة والقرب و الإمارة.

٣- **ومن صفات جبريل الواردة في السنة** ما جاء أنه ﷺ رأى جبريل على هيئته الــتي

---

(١) التكوير: ١٩-٢١

(٢) النجم: ٥

خلقه الله عليها مرتين، سادا بعظم خلقه الأفق، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ رأى جبريل، له ستمائة جناح[١]. وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه رأى جبريل في صورته وخَلْقِه سادًّا ما بين الأفق[٢]. وفي مسند الإمام أحمد عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «رأيت جبريل عند سدرة المنتهى، عليه ست مئة جناح، ينتثر من ريشه التهاويل: الدر والياقوت»[٣] وهو في رواية بلفظ: « كل جناح منها قد سد الأفق، يسقط من جناحه التهاويل والدر ولياقوت ما الله به عليم»[٤] ، والتهاويل : الأشياء المختلفة الألوان ، وهذا كله يدل على عظم وحسن خَلْقه وصورته ﷺ.

ثانيا: صفة إسرافيل ﷺ: جاء في وصفه ﷺ ما أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث أبي هريرة ﷺ وفيه قوله ﷺ في إسرافيل ﷺ: «كأن عينيه كوكبان دريان»[٥]. فهذا في صفة عينيه، والكوكب: فلك من الأفلاك، وهذا الوصف إما لعظمها أو لشدة نورها، والدري شديد الإضاءة ، فهذا التشبيه جمع بين وصف عينيه بالعظم وشدة الإضاءة.

رابعا: صفة ملك من حملة العرش: لقد ثبت في صفة ملك من حملة العرش ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش: إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»[٦].

رابعا: وظائف الملائكة:

---

(١) أخرجه البخاري (ك: بدء الخلق، ب: «إذا قال أحدكم آمين...» ح: ٣٢٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (ك: بدء الخلق، ب: «إذا قال أحدكم آمين...» ح: ٣٢٣٣).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣١/٧ ح: ٣٩١٥) قال عنه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٥١/٤): هذا إسناد جيد قوي.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٩٤/٦ ح: ٣٧٤٨) قال عنه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٥١/٤): إسناده حسن أيضا.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (ك: الأهوال ح: ٨٦٧٦) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الذهبي على شرط مسلم، وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٦٨/١١).

(٦) أخرجه أبو داود (ك: السنة، ب: في الجهمية ح: ٤٧٢٧)، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح: ١٥١).

هذا الموضوع من أهم مسائل هذا الباب، ولعلكم لاحظتم أن جميع ما تقدم ذكره من الأوصاف والأعداد والأسماء فيه تعلق بالوظائف.

والكلام في وظائف الملائكة أيضا على قسمين: مجمل ومفصل.

فالمجمل: ذكر وظائفهم من حيث الجملة وهي الوظائف التي يشتركون فيها جميعا. فالملائكة لكل واحد منهم وظيفتان مجملتان عامتان يشترك فيهما مع جميع الملائكة، وهما: القيام بعبادة الله تعالى، والقيام بتدبير شؤون الكون، وإليكم بيان ذلك وتفصيله:

فأولا: قيام الملائكة بعبادة الله سبحانه وتعالى: قال الله تعالى عن عبادة الملائكة له سبحانه: ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾[2] فهذه وظيفتهم كلهم بلا استثناء، وقد تضمنت الآيتان بيان عدة أمور مهمة تتعلق بعبادة الملائكة، وهي:

١- أنهم لا يستكبرون؛ أي: أنهم يتذللون في عبادتهم لله عز وجل، وأعظم العبادة غاية الذل مع غاية المحبة.

٢- أنهم لا يستحسرون؛ أي: لا ينقطعون عن العبادة بحال.

٣- أنهم لا يفترون؛ أي: لا يقطعهم الفتور، وهو الوهن والضعف الحسي.

٤- أنهم لا يسأمون؛ أي: لا يملون من العبادة، وهو الوهن المعنوي.

فالعبادة وظيفة جميع الملائكة، ولا يقطعهم عن عبادة الله سبب حسي، وهو الفتور ووهن القوى والأعضاء، و لا يقطعهم عنها سبب معنوي، وهو السأم والملل، فعبادتهم لله سبحانه مستمرة متصلة، وتكون على وتيرة واحدة لا تضعف ولا تتفاوت بل هي دائما تكون في قوة واحدة وإقبال واحد ، وهذا على خلاف حال بني آدم ، فإنه يكون منهم إقبال النفس ورغبتها في العبادة ولكن يقطعهم عنها تعب الجسد وفتور الأعضاء ، وقد يكون منهم نشاط الجسد ووفور قوته على العبادة ولكن يقطعهم عنها سأم النفس ونفورها.

---

(١) الأنبياء: ١٩-٢٠

(٢) فصلت: ٣٨

أنواع عبادة الملائكة: إن الملائكة يتعبدون الله سبحانه وتعالى بأنواع من العبادات، وقد جاء في الكتاب والسنة ذكر بعض العبادات التي تتعبد بها الملائكة ربها تعالى ومنها :

١- الصلاة: في حديث الإسراء المتفق عليه: «فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم...» [١] ، وقد وردت أحاديث مرفوعة وموقوفة فيها أن البيت المعمور مسجد في السماء ، وأنه يقال له الضُّراح ، وأنه بحيال الكعبة من فوقها ، وأن حرمته في السماء كحرمة البيت في الأرض ولكن لم يصح شئ منها .

وورد في النصوص تفصيل بعض صفة صلاتهم :

فورد أنهم يصفون عند ربهم، قال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾[٣]، ولعل المقصود بالصف هنا صف الملائكة للصلاة، ويؤيد ذلك ما جاء عن جابر بن سمرة ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟» فقلنا: يا رسول الله! وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: يُتِمُّون الصفوفَ الأُوَلَ ويتراصُّون في الصف»[٤] ، وكان ورود هذا الحديث حال الاصطفاف للصلاة ، فهي قرينة دالة ، فالملائكة يصلون بالصفوف، ويتمون الصفوف الأول، ويتراصون في صفوفهم.

وورد أنهم يسجدون ويركعون ويقومون: قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾[٥] وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[٦] وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن

---

(١) أخرجه البخاري (ك: بدء الخلق، ب: ذكر الملائكة صلوات الله عليهم ح: ٣٢٠٧)، واللفظ له، ومسلم (ك: الإيمان، ب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات ح: ١٦٢).

(٢) الصافات: ١

(٣) الصافات: ١٦٥

(٤) أخرجه مسلم (ك: الصلاة، ب: الأمر بالسكون في الصلاة...ح: ٤٣٠).

(٥) الرعد: ١٥

(٦) الحج: ١٨

دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴾[2]

وقد ثبت أن النبي ﷺ قال للصحابة: «أتسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء. قال: إني لأسمع أطيط السماء، وما تلام أن تئط، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم»، وهو في رواية بلفظ: «أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجدا» [3]. فهذا كله بيان لصفة وهيئة من هيئات صلاتهم وصفتها، ويحتمل أن يكون هذا في غير الصلاة، ويكون للعبادة مطلقا، ولكن الأول أظهر.

٢- الذكر: قال تعالى: ﴿ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾[4]؛ أي: الناطقات والمرددات بالذكر، ومن ومن أنواع ذكرهم التسبيح، ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾[5]؛ فهذا التسبيح ورد خاصا بالملائكة، ويضاف إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾[6] ، وقوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾[7]، وقد ذُكِرَ تسبيحهم ضمن تسبيح جميع المخلوقات في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾[8]، وقال تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[9]، وقال

---

(١) النحل: ٤٩

(٢) الأعراف: ٢٠٦

(٣) هذا الحديث مروي عن غير واحد من الصحابة منهم حكيم بن حزام وأنس بن مالك وغيرهما، انظر: السلسلة الصحيحة (ح: ٨٥٢ و١٠٥٩و١٠٦٠).

(٤) الصافات: ٣

(٥) الشورى: ٥

(٦) الرعد: ١٣

(٧) البقرة: ٣٠

(٨) النور: ٤١

(٩) الحشر: ٢٤

وقال تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[2].

ومن ألفاظ تسبيح الملائكة قولهم: سبحانك ، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ﴾[5].

٣- الخوف والخشية لله عز وجل: قال تعالى: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾[7].

وعن جابر بن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «مررت ليلة أسري بي بالملأ الأعلى، وجبريل كالحلس البالي من خشية الله تعالى»[8]، والحلس هو: ما يبسط ويجلس عليه من فرش ونحوه. وكذلك جاء في حديث تكلم الله بالوحي أن الملائكة تأخذها صعقة من خشية الله عز وجل، وقد سبق ذكره. والملائكة مع خشيتهم لله عز وجل يحبونه سبحانه، واجتماع كمال الذل مع كمال الحب هو حقيقة العبادة.

٤- الجهاد في سبيل الله تعالى: الملائكة لا يجاهدون جهادا مستقلا ولكنهم إذا دعت الحاجة يشاركون المؤمنين في قتال أعدائهم، ويكون قتالهم من باب النصرة والتأييد والتثبيت

---

(١) الجمعة: ١

(٢) الإسراء: ٤٤

(٣) البقرة: ٣٢

(٤) البقرة: ٣٠

(٥) سبأ: ٤١

(٦) الأنبياء: ٢٨

(٧) الرعد: ١٣

(٨) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/٦٤/٤٦٧٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (ح: ٥٨٦٤)، وقال في السلسلة الصحيحة (٥/٣٦٣ ح: ٢٢٨٩): الحديث بمجموع الطريقين حسن أو صحيح.

للمؤمنين، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ (١٢٤) بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[2]، وقال تعالى عن مشاركة الملائكة في غزوة الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾[3].

وقد صح عن النبي ﷺ ما يدل على مشاركة الملائكة في غزوة بدر وقال النبي ﷺ لأحد الأنصار لما أخبره عن بعض ما كان من الملائكة من الضرب والقتل للمشركين في غزوة بدر: «صدقت، ذلك مدد السماء الثالثة» [4]، وكذلك صح عن النبي ﷺ ما يدل على مشاركة الملائكة في غزوة أحد وقريظة وغيرهما.

---

(١) الأنفال: ٩

(٢) آل عمران: ١٢٤-١٢٦

(٣) الأحزاب: ٩

(٤) أخرجه مسلم (ك: الجهاد والسير، ب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم ح: ١٧٦٣).

المحاضرة السابعة في ١٤١٦/٥/٢٨هـ.

ثانيا: تدبير الملائكة لشؤون الكون بأمر الله : ما من حركة في الكون إلا وهي ناشئة عن الملائكة، فهم موكلون بالسماء ونجومها وكواكبها والشمس والقمر وبالأرض والنبات، والريح والجبال وبني آدم وغير ذلك. فهم موكلون ببني آدم منذ كونه نطفة حتى ينفخ فيه الروح، ويخرج إلى الحياة، ثم حفظه وكتابة أعماله في الحياة، ثم قبض روحه، ثم فتنته في القبر، ثم إدخاله الجنة أو النار ، وفي البدء لا بد من التنبيه على أمرين :

فالأول: إذا كان تدبير الملائكة لشئون الكون تنفيذا منهم لأوامر الرب سبحانه فهو من عبادتهم لله ؛ فلم جعلناه قسيما لتعبدهم في إجمال وظائفهم ؟ ، فنقول: إن هذا لفرق بين القسمين هو أن عبادتهم لله عز وجل لازمة لهم غير متعدية إلى غيرهم ، وأما تدبيرهم لشؤون الكون فإنه أثره متعد إلى غيرهم.

والأمر الثاني: إن الله سبحانه وتعالى أضاف التدبير إلى الملائكة؛ فقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾[1]، وأضاف التدبير إلى نفسه فقال تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾[2]، وقال جل وعلا: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾[3]؛ فهو سبحانه المدبر أمرا وإذنا ومشيئة، والملائكة مدبرات مباشرة وتنفيذا وطاعة وامتثالا، وهذا كما أضاف الله التوفي إليهم تارة فقال سبحانه: ﴿ **إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ** ﴾[4]، وأضاف إلى نفسه تارة

---

(١) النازعات: ٥

(٢) يونس: ٣

(٣) السجدة: ٥

(٤) الأنعام: ٦١

فقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [(1)]. ولهذا نظائر أخرى كثيرة.

أوصاف تدبير الملائكة للكون: وصف الله عز وجل تدبير الملائكة للكون بأوصاف عظيمة تدل على دقة عملهم وكبر همتهم، وفيما يلي بيان ذلك وتوضيحه:

١– التزام الأمر: قال تعالى: ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ [(2)] فهذا وصف لهيئة تدبيرهم في الجملة، ومعنى قوله: ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ ﴾؛ أي: لا يفعلون فعلا لم يؤمروا به، ومعنى قوله: ﴿ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾؛ أي: إذا أُمِرُوا فعلوا المأمور، دون زيادة أو نقص، فهم يفعلون ما أمرهم الله تعالى، ويلتزمون بأوامره سبحانه تمام الالتزام ، فلا يتقدمون على أمر الله بفعل لم يؤمروا به ، وإذا أمروا التزموا المأمور على صورة الأمر بغير أدنى مخالفة .

٢– امتثال الأمر: قال تعالى: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [(3)]، ومعنى قوله: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ ﴾ : أنهم لا يتركون شيئا مما أمرهم الله به معصية له سبحانه، ومعنى قوله: ﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ : أنهم لا يتركون شيئا مما أمرهم الله به عجزا وقصورا؛ فهم لا يتركون شيئا مما أمرهم الله به في حال من الأحوال.

٣–السرعة في التنفيذ: قال تعالى: ﴿ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴾ [(4)]؛ أي: أنها تسبق لفعل ما أمرت به، وقال تعالى: ﴿ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴾ [(5)] ومعناه في قول بعض المفسرين: أن الملائكة تعصف بالأمر الذي تؤمر به، فتنفذه سريعا بدون بطئ ولا تأخير، وفي ذلك دليل على أن تدبير الملائكة للكون تدبير لا تأخير فيه عن زمن الأمر فهو يقع منهم على الفور بلا تسويف ولا تراخ.

---

(١) الزمر: ٤٢

(٢) الأنبياء: ٢٧

(٣) التحريم: ٦

(٤) النازعات: ٤

(٥) المرسلات: ٢

٤- الدقة وحسن التنظيم: وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ﴾[١]؛ أي: كل واحد منهم عمله الذي أمر به ومقامه الذي عين فيه معلوم لديه، فلا أحد منهم يتدخل في عمل الآخر، ولا يتصرف تصرفا لم يؤمر به بل كل واحد منهم مقبل على شأنه، ويفعل ما أمر به، وهذا يدل على الدقة وحسن التنظيم في تدبير الملائكة لشئون الكون.

أعمال الملائكة في تدبير الكون

أعمال الملائكة كثيرة جدا ولا يمكن حصرها ، وقد ذكرنا أنه ما من حركة في الكون إلاوهي ناشئة عنهم عليهم السلام ، ولكن أهم أعمالهم ثلاثة:

١-تبليغ الوحي الذي فيه صلاح الأرواح وحياتها.

٢-مباشرة شؤون القطر والنبات الذي فيه صلاح الأبدان وحياتها.

٣-النفخ في الصور الذي فيه فناء الحياة ثم بعثها لحياة الآخرة.

هذه الأمور الثلاثة أهم وظائفهم، لأنها تتعلق بمجمل حركة حياة بني آدم في الوجود ، ولهذا وكل بهذه الأعمال كبار الملائكة. وفيما يلي شيء من التفصيل لذلك.

أولا: تبليغ الوحي: معناه أن تترل الملائكة بكلام الله المتضمن أوامره ونواهيه وأخباره إلى أنبيائه ورسله.

وهذه الوظيفة هي وظيفة جبريل ﷺ، وهو مختص بها، دل على ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن اليهود سألت النبي ﷺ فقالت: من وليك من الملائكة؟ قال: «إن وليي جبريل ﷺ، ولم يبعث الله نبيا قط إلا هو وليه»[٢].

ولم يبلغ النبي ﷺ شيئا من القرآن سوى جبريل ﷺ قال تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ

---

(١) الصافات: ١٦٤

(٢) مسند الإمام أحمد (٣١٢/٤ ح:٢٥١٤)، وفي إسناده ضعف ولكن له طرق يتقوى به.

(٣) البقرة: ٩٧

(٤) الشعراء: ١٩٣-١٩٤

﴿بِٱلْحَقِّ﴾[1]؛ فجبريل عليه السلام هو الذي نزل بالقرآن كله على النبي ﷺ ، وكان بعد التبليغ يراجعه مع النبي ﷺ ويعارضه.

وقد ورد عن بعض السلف أن إسرافيل عليه السلام وكّل بالنبي ﷺ في أول الأمر ثم وكل به جبريل عليه السلام، فقد أخرج الإمام أحمد ويعقوب بن سفيان الفسوي وابن سعد والبيهقي وابن عبدالبر عن الشعبي بسند صحيح إليه أنه قال: (إن النبي ﷺ قرن به إسرافيل ثلاث سنين، يعلمه الكلمة والشيء، و لم يترل عليه القرآن على لسانه، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل، فترل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة).

ولكن هذا الخبر لا يصلح للاعتماد عليه؛ لأمور منها:

١- أنه وإن صح عن الشعبي إلا أنه لم يسنده إلى النبي ﷺ؛ فهو خبر معضل أو مقطوع، فلا يصح الاحتجاج به لما في سنده من السقط والانقطاع.

٢- أنه مخالف لما ثبت في السيرة النبوية أن جبريل عليه السلام هو الذي جاء إلى النبي ﷺ في أول أمره، وكان ذلك في غار حراء، وهذا هو الثابت المعروف.

٣- أنه معارض لما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن طرف صاحب الصور مذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه»[2] وصاحب الصور هو إسرافيل عليه السلام، وإذا كان هذا حاله وشغله وشأنه فلا يمكن أن يكون مع النبي ﷺ ثلاث سنين.

٤- المعروف عند أهل العلم من أهل الحديث والتاريخ أن جبريل عليه السلام وكل بالنبي ﷺ منذ ابتداء الأمر، و لم يوكل به إسرافيل، ذكره الواقدي.

ولكن قد يرافق جبريل عليه السلام أثناء تبليغه الوحي غيرُه من الملائكة، كما ورد في نزول سورة الأنعام أنها لما نزلت نزل معها سبعون ألف ملك يشيعونها، وذكر بعض المفسرين في ضيف إبراهيم عليه السلام أنهم جبريل عليه السلام ومعه ملائكة آخرون، وقد صح عن النبي ﷺ قوله: «رأيت

---

(١) النحل: ١٠٢

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (ك: الأهوال ح: ٨٦٧٦) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، وصححه الذهبي على شرط مسلم، وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٦٨/١١).

الليلة رجلين أتياني، فقالا: الذي يوقد النار مالكٌ خازن النار، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل»[1].

وقد يكون لمن يرافق جبريل ﷺ عند تبليغه الوحي مهمة يؤديها في التبليغ، كما جاء عن أبي بن كعب ﷺ عن النبي ﷺ قال: « أتاني جبريل وميكائيل، فقعد جبريل عن يميني، وميكائيل عن يساري، فقال جبريل: يا محمد! اقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزده، فقلت: زدني، فقال: اقرأه على ثلاثة أحرف، فقال: ميكائيل: استزده، فقلت: زدني، كذلك حتى بلغ سبعة أحرف...» الحديث، وقد سبق ذكره ، ففيه مرافقة ميكائيل لجبريل وتأديته مهمة توجيه النبيﷺ للاستزادة.

وقد يأتي غير جبريل بشيء من الوحي غير القرآن، ويكون هو الذي يبلغه بحضرة جبريل، ومما يدل على ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضا من فوقه، فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فترل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض، لم يترل قط إلا اليوم. فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما، لم يؤهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته[2].

فهذا الحديث فيه أمران:

الأول: أن هذا التبليغ كان بحضرة جبريل ﷺ.

والثاني: أن ما بلغه الملك لم يزد عن كونه بشارة، و لم يتلو تلك الآيات.

وورد أيضا ما يدل على أن غير جبريل ﷺ قد يبلغ النبي ﷺ الشيء من الوحي بغير حضرة جبريل ولكن يكون ذلك غير القرآن؛ فعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : : «أما رأيت العارض الذي عرض لي قُبَيْلُ؟» قال: قلت: بلى. قال: «فهو ملك من الملائكة لم يهبط الأرض قبل هذه الليلة، فاستأذن ربه أن يسلم عليَّ، ويبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (ك: بدء الخلق، ب: إذا قال أحدكم آمين...ح: ٣٢٣٦).

(٢) أخرجه مسلم (ك: صلاة المسافرين، ب: فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة ح: ٨٠٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣٥٣/٣٨-٣٥٤ ح: ٢٣٣٢٩)، واللفظ له، والترمذي (ك: المناقب، ب: مناقب الحسن والحسين عليهما السلام ح: ٣٧٨١)، وقال: (هذا حديث حسن

فالحاصل أن جبريل عليه السلام هو المكلف بتبليغ الوحي، وهو الذي بلغ القرآن لكن قد يأتي معه أعوان، وقد يبلغ غيره الشيء من الوحي غير القرآن بحضرته أو بغير حضرته.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿ **فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا** ﴾[1] أنه قال: (ما نزل جبريل بشيء من الوحي إلا ومعه أربعة حفظة من الملائكة) ؛ فإن صح فهو دليل لما ذكرنا بأن جبريل عليه السلام يترل معه ملائكة آخرون يحفظون الوحي من الاستراق.

وهذا لا يعارض بما جاء في قوله تعالى: ﴿ **فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ** ﴾[2] بأن هذا جمع فلا يكون تبليغ الوحي وظيفة جبريل عليه السلام خاصة ، لأن المقصود بالملائكة جبريل عليه السلام خاصة فهو من الجمع المراد به المفرد ، ويشهد له قراءة ابن مسعود: فناداه جبريل، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿ **إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ** ﴾[3] فقد بين الله في آية أخرى أن القائل هو جبريل، وذلك في سورة مريم، وإطلاق الجمع على الواحد معروف في لغة العرب.

وكذلك تدل هذه الآية على أن الله سبحانه إذا أراد تبليغ أحد من خلقه غير الأنبياء بطريق إرسال رسول يكون عن طريق جبريل عليه السلام.

بل قامت الأدلة على أنه هو الموكل بتبليغ الوحي للملائكة، كما يدل على ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل: إن الله قد أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله قد أحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في أهل الأرض».

غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث إسرائيل)، والحاكم في المستدرك (ك: معرفة الصحابة، ذكر مناقب فاطمة بنت رسول الله ﷺ ح: ٤٧٢١-٤٧٢٢، وذكر مناقب حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ح: ٥٦٣٠)، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه) ووافقه الذهبي.

(١) الجن: ٢٧

(٢) آل عمران: ٣٩

(٣) آل عمران: ٤٥

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا تكلم بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل...». والحديثان صحيحان، وقد سبق ذكرهما من قبل.

تنبيه: إن جبريل عليه السلام له وظائف أخرى غير تبليغ الوحي، منها:

ما ورد في بعض الأحاديث والآثار أنه صاحب الحرب، وأنه شارك في القتال مع المؤمنين في غزوة بدر وأحد والأحزاب وبني قريظة وحنين وغيرها وكان قائد الملائكة المشاركين.

وقد جاء في عدة مواضع من كتاب الله أنه قام بالنفخ في فرج مريم، في خلق عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[2].

وورد في بعض الآثار وقيل إنها من الإسرائيليات بأنه هو الذي تولى إهلاك قوم لوط.

تنبيه آخر: إن تبليغ الوحي ليس مختصا بتبليغ ما يكون كلاما بل قد يكون بالفعل، كما نزل جبريل عليه السلام وعلَّم النبي ﷺ أوقات الصلاة.

ثانيا:مباشرة شؤون القطر والنبات: ومعناه أن الملك الموكل بها موكل بكل ما يتعلق بالمطر، والرياح، وسوق السحاب، ونزول القطر إلى الأرض، وشرب الأرض الماء، وإنبات النبات، ونموه، وإخراج ثمره، وكل ما يتعلق بذلك.

وهذه الوظيفة هي وظيفة ميكائيل، فقد ورد عند الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ قال لجبريل عليه السلام: «على أي شيء ميكائيل؟» قال: «على النبات والقطر»[3]. فهو القائم على ذلك، وله أعوان كثيرون يفعلون ما يأمرهم به من أمر ربه، ويصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الله عز وجل، وقد جاء في بعض الآثار أنه ما من قطرة تنزل من السماء

(١) الأنبياء: ٩١

(٢) التحريم: ١٢

(٣) أخرجه ا لطبراني في المعجم الكبير (١١/٣٧٩ ح: ١٢٠٦١)، ولكن في إسناده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وقد ضعف لسوء حفظه، انظر: فتح الباري (٦/٣٠٧).

إلا ومعها ملك يقررها في موضعها من الأرض.

وقد جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «بينا رجل بفلاة من الأرض، فسمع صوتا في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب، فأفرغ ماءه في حرة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان للاسم الذي سمع في السحابة...» الحديث [1].

ومن أعوان ميكائيل: الرعد، وهو موكل بزجر السحاب وسوقه إلى حيث شاء الله عز وجل، ففي حديث ابن عباس ﷺ أن اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ وسألوه أسئلة منها قولهم: أخبرنا ما هذا الرعد؟ قال: «ملك من ملائكة الله عز و جل موكل بالسحاب بيده -أو في يده- مخراق من نار يزجر به السحاب، يسوقه حيث أمر الله» قالوا: فما هذا الصوت الذي يسمع؟ قال: «صوته». قالوا: صدقت ....الحديث[2]. وقيل: إن البرق هو أثر سوطه إذا زجر به السحاب ، وهذا محتمل، والله أعلم.

ثالثا: النفخ في الصور: ورد في بعض الأحاديث الضعيفة أنه مهمة إسرافيل ﷺ، وقد بين الحديث الصحيح صفة النفخ في الصور فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «إن طرف صاحب الصور مذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دريان»[3] وفي بعض الأحاديث أنه التقم الصور، وهو ينفخ في الصور ثلاث نفخات أو نفختين على خلاف، وشذ من قال بأربع نفخات.

وظائف أخرى للملائكة: لقد تعرفنا فيما مضى من الكلام على ثلاثة أعمال مهمة من أعمال الملائكة، وهناك أعمال وظائف أخرى للملائكة، وفيما يلي ذكرها باختصار:

أولا: كتابة أعمال العباد: من أهم وظائف الملائكة وظيفة كتابة أعمال العباد، وهي

(١) أخرجه مسلم (ك: الزهد والرقائق، ب: الصدقة في المساكين ح: ٢٩٨٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/٢٨٤-٢٨٥ ح:٢٤٨٣).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (ك: الأهوال ح: ٨٦٧٦) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الذهبي على شرط مسلم، وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/٣٦٨).

وظيفة الكرام الكاتبين، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[1]؛ أي: إن الملائكة يعلمون ما تفعلونه فيكتبونه، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾[3].

والملائكة تكتب الأعمال كلها، وتكتبها بالتفصيل، ولا تكتبها بالاختصار ولا بالمعنى، بل إنها تكتب كل شيء بدقة تامة، وتنسخه نسخا كما ترى وتسمع، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[4]، رقيب: يراقب مراقبة شديدة لا يفوته شيء، وعتيد: جاهز متهيئ للكتابة.

وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾[6]؛ أي: كل صغيرة وكبيرة من قول أو فعل، والإحصاء هو الإتيان على الشيء بحذافيره، والإحاطة به من كل وجه، وقال تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[7] والنسخ: نقل الشيء على ما هو عليه، فدل على أنهم ينقلون الأعمال على هيئتها، القول كما قيل، والفعل كما فُعِل، لا يدخل في ذلك اجتهاد منهم، فلا يكتبون بالمعنى ولا بالإجمال ولا بالاختصار.

وفي المحاضرة القادمة مزيد تفصيل لوظيفة الكتابة إن شاء الله .

---

(١) الانفطار: ١٠-١٢

(٢) الزخرف: ٨٠

(٣) يونس: ٢١

(٤) ق: ١٨

(٥) القمر: ٥٢-٥٣

(٦) الكهف: ٢٢٥

(٧) الجاثية: ٢٩

المحاضرة الثامنة في ١٤١٦/٦/١هـ.

بين الله سبحانه دقة كتابة الملائكة الكاتبين أعمالَ بني آدم فقال تعالى: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾[1]، وهاتان الآيتان تتضمنان وظيفة الكتابة وإن لم يصرح بها، ومما يدل عليه ذكر الجزاء في الآية، وإنما يجازى العباد على ما كتب عليهم، والتعبير بالذرة وهي الجزء الصغير الذي لا يرى يدل على دقة كتابتهم.

وبين الله سبحانه وتعالى في كتابه شيئا من كتابتهم على التفصيل والإحصاء، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا

(١) الزلزلة: ٧-٨

يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[1] فالآيتان فيهما بيان لما تكتبه الملائكة من جهاد العبد، فهي تكتب كل شيء في جهاده، تكتب ظمأه، ونصبه وتعبه وجوعه، والمكان الذي يطأه، والنفقة التي ينفقها، وغير ذلك.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من تطهر في بيته، ثم مشى إلى بيت من بيوت الله؛ ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطوتاه إحداهما تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة»[2].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال لهم: «إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد». قالوا: نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك، فقال: «يا بني سلمة! ديارَكم تُكْتَب آثارُكم، ديارَكم تُكْتَب آثارُكم»[3]. إي: خطواتكم إلى المسجد ذهابا وإيابا تكتب لكم وتؤجرون عليها، فدل هذا على كتابتهم العمل بالتفصيل.

وكما أنها تكتب تفاصيل العمل الصالح فهي تكتب تفاصيل العمل السيئ، قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾[4]؛ فبين الله سبحانه أنهم يكتبون قولهم وفعلهم. قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٧٨﴾

---

(١) التوبة: ١٢٠-١٢١

(٢) أخرجه مسلم (ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: فضل كثرة الخطا إلى المساجد ح: ٦٦٥).

(٣) أخرجه مسلم (ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: فضل كثرة الخطا إلى المساجد ح: ٦٦٥).

(٤) آل عمران: ١٨١

كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ﴾[3]، ومعنى يبيتون: ما يتحدثون به فيما بينهم فتسمعه الملائكة أو ما يعقدونه في قلوبهم فتعلمه الملائكة وتكتبه، فدل هذا على أن الملائكة تكتب النوايا والعزائم وأعمال القلوب.

كتابة الملائكة لأعمال القلوب، دلت عليه أدلة عامة وأدلة خاصة، فمن الأدلة العامة ما يلي:

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾[4]؛ والفعل يشمل عمل القلب واللسان والجوارح.

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[5]، والباطن يشمل ما فُعِلَ في السر وأعمالَ القلوب، وإن كان سبب النزول غير هذا فالعبرة بعموم اللفظ.

ووردت أدلة صريحة في ذلك ومنها ما يلي:

قال تعالى: ﴿ أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ﴾[6]؛ أي: يكتبون سرهم ونجواهم.

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾[7]، فجعل العذاب

---

(١) مريم: ٧٧-٧٩

(٢) الزخرف: ١٩

(٣) النساء: ٨١

(٤) الانفطار: ١٠-١٢

(٥) الأعراف: ٣٣

(٦) الزخرف: ٨٠

(٧) الحج: ٢٥

العذاب على مجرد الإرادة، والعذاب مرتب على ما كتبته الملائكة.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز و جل: إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها سيئة، وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشرا»(1). وهذا صريح في كتابة الملائكة أعمال القلوب.

مسألة: كيف تطلع الملائكة على أعمال القلوب وأعمال القلوب غيب؟

فالجواب: أعمال القلوب غيب بالنسبة لنا، وليست غيبا بالنسبة للملائكة الموكلة بكتابتها ، وتقدم أن الملائكة لا يتركون أي عمل عجزا، فهي قادرة على كتابة أعمال القلوب بلا شك ولكن لم يرد ما يبين كيفية اطلاعهم عليها.

وورد عن سفيان بن عيينة أن الملكين الكاتبين يكتبان هم العبد، ويعلمانه من رائحة تفوح من هم العبد، وأنه إذا هم بحسنة شم لها رائحة حسنة وإذا هم بسيئة شم لها رائحة سيئة(2)، وهذا أمر محتمل، ويحتمل أن يكون سفيان قد وقف على أثر في ذلك؛ لأن مثله لا يعلم إلا بطريق الخبر.

وقال حجاج بن دينار : قلت لأبي معشر : الجل يذكر الله في نفسه ، كيف تكتبه الملائكة ؟ ، قال : يجدون الريح (3).

ولكن مجرد شم الرائحة إنما يدل على نوع الهم حسنا كان أم سيئا ، وهو لا يعيِّن ذات الهم ماهو ، والظاهر أن الملائكة تكتب تفاصيل الهم لا مجرد نوعه العام ، والله أعلم .

وروي عن ابن مسعود ﷺ مرفوعا وموقوفا: «إن للملك لمة، وللشيطان لمة، فلمة الملك إيعاد بالخير، وتحذير من الشر، ولمة الشيطان إيعاد بالشر وتحذير من الخير»(4).

ومراده بالملك الملك الموكل بالعبد فقد أخبر النبي ﷺ أنه موكل بكل إنسان قرين من

---

(1) أخرجه مسلم (ك: الإيمان، ب: إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب ح: ١٢٨).

(2) أنظر: عيون المناظرات لأبي علي عمر السكوني، (ص: ١٩٦، المناظرة: ٧١)، تحقيق: سعد غراب، منشورات الجامعة التونسية ١٩٧٦م.

(3) أخرجه أبو الشيخ في العظمة ١٠٠٢/٣ ، وهو مقطوع ، وأبو معشر نفسه ضعيف .

(4) المعجم الكبير (١٠٤/٩ ح: ٨٥٣٢)، ومسندا لبزار (٣٩٤/٥ ح: ٢٠٢٧).

الملائكة، فإن كانت الحسنة التي انعقدت في قلب العبد من إلقاء الملك فإن طريق معرفتها له واضح لأنه هو الذي ألقاها.

هذا ما ورد في توضيح كيفية اطلاعهم على عمل القلب، وما عدا ذلك لم يرد به خبر، فنحن نجهل كيفيته، ونكل علمه إلى الله تعالى.

كتابة العمل المعتاد إذا قام سبب منع منه: الملائكة تكتب ما كان يفعله العبد وإن كان قد انقطع عنه لمانع من الموانع، فعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا»[1].

كتابة الأجور وآثار الأعمال: إن الملائكة لا تكتب الأعمال فقط بل هي تكتب أجورها أيضا مع زياداتها وتضاعيفها، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز و جل: إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها سيئة، وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشرا»[2].

ولا تكتب أعمال العبد حال حياته فقط بل تكتب آثار أعماله التي قد تمتد إلى ما بعد موته، قال تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَٰرَهُمْ﴾[3]، وعن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[4].

وقد اتفق أهل العلم على أن الملائكة الكاتبين يكتبون ما عليه الجزاء من أعمال العبد، ولكنهم اختلفوا في كتابة أعماله التي لا يجري عليها الجزاء كالأكل والشرب ونحوه من عادات الحياة وضرورتها:

---

(١) أخرجه البخاري (ك: الجهاد والسير، ب: يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة ح: ٢٩٩٦).

(٢) أخرجه مسلم (ك: الإيمان، ب: إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب ح: ١٢٨).

(٣) يسن: ١٢

(٤) أخرجه مسلم (ك: الزكاة، ب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة...ح: ١٠١٧).

فروي عن ابن عباس ومولاه عكرمة وقتادة أنه لا يُكْتَبُ إلا ما عليه الجزاء.

وروي عن ابن عباس ومجاهد وطاووس ومالك أنه يُكْتَبُ كل شيء.

وورد في تفسيره قوله تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[(1)] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يكتب الملكان كل شيء يقوله حتى قوله: أكلت وشربت.

والقول الثاني هو الأرجح؛ لأنه أوفق مع عموم الأدلة المتقدمة، ويؤيده ما جاء في حديث أبي هريرةﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفع الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم»[(2)].

فقوله ﷺ : «لا يلقي لها بالا»؛ إما بمعنى يستصغرها مع نيته لها؛ أي: أنه يظن أنها لا تبلغ في الخير أو الشر ما بلغت. أو معناها: أنه لا ينويها أصلا، أي: تجري على لسانه، ويشهد لهذا قوله ﷺ للصحابة لما كانوا يحلفون باللات والعزى مع عدم قصدهم العقد على الحلف: «من حلف فقال في حلفه: واللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله»[(3)]. وهذا فيه تجديد صورة الإسلام، وإذا كان هذا معنى الحديث، ففيه دليل على صحة قول من قال: إن الملائكة تكتب كل شيء.

الملائكة الكتبة ترفع الأعمال كل اثنين وخميس: الملكان الكاتبان إذا كتبا تعرض كتابتهما على الرب سبحانه مرتين في كل أسبوع يومي الاثنين والخميس، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم»[(4)].

عدة الملائكة الموكلون بالعبد للكتابة: كل إنسان معه ملكان موكلان بكتابة أعماله،

---

(١) ق: ١٨

(٢) أخرجه البخاري (ك: الرقاق، ب: حفظ اللسان ح: ٦٤٧٨).

(٣) أخرجه البخاري، من حديث أبي هريرة ﷺ (ك: الأيمان والنذور، ب: لا يُحْلَفُ باللات والعزى، ولا بالطواغيت ح: ٦٦٥٠).

(٤) أخرجه الترمذي (ك: الصوم، ب: ما جاء في صوم يوم الاثنين والخميس ح: ٧٤٧)، والحديث صحيح، وانظر: إرواء الغليل (٤/١٠٤ح: ٩٤٩).

هذا هو المشهور، وعليه عامة أهل العلم، ويدل عليه ظاهر قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾[(١)]. وقيل: هم أربعة، اثنان بالليل واثنان بالنهار، وقيل: هم خمسة، اثنان بالليل واثنان بالنهار، وواحد منهم ملازم لا يفارقه في الليل ولا في النهار، ولكن الصحيح هو القول الأول، وأنهم اثنان، واحد عن اليمين وواحد عن الشمال، كما في الآية.

مكانهما من الإنسان: قال تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾[(٢)].

فهذه الآية تدل أن أحدهما يكون عن اليمين والآخر يكون عن الشمال، وجاء في حديث أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كاتب الحسنات على يمين الرجل، وكاتب السيئات على يسار الرجل، وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرًا؛ وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر»[(٣)]. فالظاهر أن كاتب الحسنات يكون عن يمين الإنسان وكاتب السيئات يكون عن شماله، وقد وردت في تحديد مكانيهما من الإنسان أقوال أخرى منسوبة إلى بعض السلف، فقيل : إنهما على ناجذي العبد، وجعل لسانه قلمهما وريقه مدادهما، وقيل: إنهما على ثنيتيه، وقيل: إنهما على الحنك تحت الشعر، ولكن هذه الأقوال كلها ضعيفة، والصحيح ما جاء في الآية والحديث والله أعلم.

الملكان الكاتبان يلازمان العبد ولا يخليانه ولا يفارقانه في حال من الأحوال، قال تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾[(٤)]. وقال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[(٥)] فهما ملازمان للعبد، يراقبانه في كل أحواله، ويكونان مستعدين لكتابة ما وكل

---

(١) ق: ١٧

(٢) ق: ١٧

(٣) أخرجه البغوي في تفسيره (١٣٣/٥، سورة: ق)، وفي إسناده ضعف وله طرق أخرى لا تخلو من كلام فيها، ولعلها بمجموعها تصل إلى درجة الحسن، وقد ذكر بعضه الألباني في السلسلة الصحيحة، انظر للتفصيل: (٢١٠/٣ ح: ١٢٠٩).

(٤) ق: ١٧

(٥) ق: ١٨

إليهما.

وقد روي عن الحسن البصري أن الملكين يفارقان العبد في حال قضاء الحاجة من البول والبراز، وفي حال الجماع، ولكن لا نعلم مستنده في ذلك، وقد جزم ابن وضاح والخطابي أنهما لا يخليانه حتى عند غائطه وجماعه.

والكتبة تكتب أعمال جميع بني آدم؛ مؤمنهم وكافرهم، لعموم الأدلة، والظاهر أنها تكتب للكافر أعماله الحسنة كالصدقة والصلة وغيرهما إن عقد لها نية التقرب إلى الله، فإن أسلم كتب له ثواب ذلك، ويدل على ذلك ما جاء عن حكيم بن حزام أنه قال لرسول الله ﷺ: أي رسول الله! أرأيت أمورا كنت أتحنث بها في الجاهلية من صدقة أو عتاقة أو صلة رحم أفيها أجر؟ فقال رسول الله ﷺ: «أسلمت على ما أسلفت من خير» [1] فبين أن ما تحنث به لله من أعمال الخير في الجاهلية مكتوب له بإسلامه ، فهو دليل على أن الكافر تكتب له أعماله الحسنة التي عقد لها نية التقرب إلى الله في حال كفره، ويؤجر عليها بعد إسلامه ولكنه إن مات على حال الكفر لم يسلم تذهب أعماله كلها هباء منثورا، قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [2]، قال بعض أهل العلم في تفسيره: أي ما عمله من عمل صالح جعله الله يوم القيامة هباء منثورا لأجل كفره.

<u>**كتابة أعمال الصبي**</u> : ظاهر حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المبتلى حتى يبرأ، وعن الصبي حتى يكبر» [3]، دال على أن الصبي لا يكتب له ولا عليه، فإن هذا معنى كون القلم مرفوع عنه .

وذكر بعض أهل العلم أنه يكتب للصبي حسناته ولكن لا يكتب عليه، وروى ابن عبدالبر في التمهيد عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال : (تكتب للصغير حسناته ولا تكتب

---

(١) أخرجه مسلم (ك: الإيمان، ب: بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده ح: ١٢٣).

(٢) الفرقان: ٢٣

(٣) أخرجه أبو داود (ك: الحدود، ب: في المجنون يسرق أو يصيب حدا ح: ٤٣٩٨) وابن ماجه (ك: الطلاق، ب: طلاق المعتوه والصغير والنائم ح: ٢٠٤١)، وغيرهما وهو حديث صحيح مشهور.

سيئاته)[1] وقد يُوْرَدُ لكتابة حسنات الصبي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: رفعت امرأة صبيا لها، فقالت: يا رسول الله! ألهذا حج؟ قال: «نعم ولكِ أجر»[2]. ولكن هذا حج وقع للصبي بعقد النية له من الكبير، كحج الكبير من الكبير بالنيابة، وكانتفاع الميت بصدقة الحي عنه ، فاعتباره وكتابته مرتبط بانعقاد النية له من الكبير، فكتابة حسنات للصبي لعمل الكبير عنه تكتب ولاريب لهذه الدلائل الشرعية .

أما الحسنات التي تقع من عمل الصبي نفسه فمقتضى النظر أنها لا تكتب له ؛ فإنه لايعقد لها نية ولا يتوجه منه قصد التقرب بها إلى الله فهو لا يعقل ذلك ، فهي كالعادات التي يباشرها العبد لضرورته وحاجاته من غير نية تقرب ، ولكن فضل الله أوسع من أن يقصره رأي ، وأعظم من أن يدركه نظر .

والكرام الكاتبون يكتبون أعمال العباد في صحائف، وبطاقات،وسجلات، وكتب، وستأتي الأدلة على ذلك عند دراسة باب اليوم الآخر بإذن الله تعالى.

وذكر ابن رجب أن الذنوب التي تكتبها الملائكة على ابن آدم لا تمحى بتوبته منها بل تبقى مكتوبة ويكتب معها توبته منها ليوقف عليها يوم القيامة فيقرؤها في كتابه فيتبين له فضل الله عليه بقبول توبته ومحو ذنبه ، ويظهر له عظيم عدله سبحانه.

وقد روي عن بعض السلف أن الكاتبين هما اللذان يتوليان سؤال الميت في قبره في فتنة القبر فهما يكتبان أعماله وهما يتوليان سؤاله فيها ، ولا نعلم دليلا له .

---

(١) أنظر التمهيد ١/١٠٥.

(٢) أخرجه مسلم (ك: الحج، ب: صحة حج الصبي، وأجر من حج به ح: ١٣٣٦).

المحاضرة التاسعة في ١٤١٦/٦/٥هـ

ثانيا: وظيفة حفظ بني آدم: تقدم بعض الكلام على هذه الوظيفة عند ذكر اسم المعقبات من أسماء الملائكة، وهم المكلفون بحفظ بني آدم، قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ﴾[3] وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر...» الحديث[4]. فالملائكة يتعاقبون على العبد من بين يديه ومن خلفه، ويتعاقبون عليه في الليل والنهار، ويحفظونه بأمر الله تعالى، وهذا الحفظ يشمل كل إنسان.

كيفية حفظهم بني آدم: قال تعالى: ﴿ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾[5]؛ أي: بأمر الله، فسره مجاهد، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الحفظة يحفظون العبد من الجن والهوام والسباع وغيرها حتى إذا قدر الله عليه أن يصيبه من هذا شيء خلوا بينه وبين قدر الله. فهم يحفظونه مما لم يقدره الله عليه.

وقيل: إن معنى ﴿ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾؛ أي: المعقبات عملهم وحفظهم من أمر الله، وعلى هذا يجهل كيفية حفظهم للعبد، كما قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ [6] فإن صح ذلك

---

(١) الرعد: ١٢

(٢) الأنعام: ٦١

(٣) الطارق: ٤

(٤) أخرجه البخاري (ك: مواقيت الصلاة، ب: فضل صلاة العصر ح: ٥٥٥)، ومسلم (ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ح: ٦٣٢).

(٥) الرعد: ١٢

(٦) الإسراء: ٨٥

فيكون حفظهم مجهول الصفة لنا، والله تعالى أعلم.

وهؤلاء الحفظة جماعة، دل عليه لفظ الجمع في قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً ﴾[2]، وقوله ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة...» فلا تحديد لأعدادهم، وأما قوله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ نَفۡسٍ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٌ ﴾[3] فهذا وصف للجنس.

وكذلك هذه الآية تدل على عموم حفظ الملائكة لبني آدم مؤمنهم وكافرهم، وتدل على فساد قول من قال بأن الكافر لا حافظ له، لأن الله تعالى خلق المؤمن والكافر، فكما أن الملائكة تتولى الكافر في الرحم، وتوكل برزقه وغير ذلك، فليس هناك ما يمنع من حفظهم للكافر، فلا وجه لمن خصص حفظ الملائكة بالمؤمن فقط، والآية رد صريح على ذلك.

زعم بعض أهل العلم أن الحفظة هم الكتبة، واستدلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴾[4]، لأنه جمع بين الحفظ والكتابة، والذي يظهر أنهم ليسوا كذلك، وذلك لأمور، وهي كما يلي:

١- اختلاف الوظيفتين، لأن الكتبة يكتبون الأعمال ويحصونها، والحفظة يحفظون الإنسان نفسه وذاته، فالوظيفتان مختلفتان، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ﴾[5].

٢- اختلاف مكانهم من الإنسان، فقد قال الله عن الحفظة المعقبات: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾[6]، وأما الكتبة فهم يكونون عن يمين الإنسان وعن شماله، فالتفريق بين جهاتهم ومواقعهم يقتضي اختلافهم.

٣- الكتبة مع كل شخص اثنان، قال تعالى: ﴿ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ

---

(١) الرعد: ١٢

(٢) الأنعام: ٦١

(٣) الطارق: ٤

(٤) الانفطار: ١٠-١١

(٥) الصافات: ١٦٤

(٦) الرعد: ١٢

قَعِيدٌ﴾[1]. وأما الحفظة فهم جماعة، قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً﴾[3].

٤- الكتبة ترفع الأعمال يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم»[4]. وأما الحفظة فهي ترفع أحوال بني آدم كل يوم مرتين، ويدل على ذلك حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر...» الحديث[5].

٥- قال تعالى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾[6]؛ فالكتبة وصفهم الله تعالى بالمراقبة والتهيؤ، وهاتان الصفتان تقتضيان عدم انشغالهم بغير ذلك، فهم مختصون بالكتابة لا غير، فالمقام هنا لا يتسع لوظيفة أخرى، والله أعلم.

٦- الكتبة يلازمون الإنسان في كل وقت، ولا يتركونه ولا يفارقونه البتة، وأما الحفظة فهم يتعاقبون بالليل والنهار.

وأما قوله تعالى عن الكتبة: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ﴾[7]، فالمراد بالحفظ بالحفظ هنا حفظ أعمال بني آدم وكتابتها بخلاف حفظ الحفظة، فهم يحفظون الإنسان نفسه، قال تعالى: ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾[8].

---

(١) ق: ١٧

(٢) الرعد: ١٢

(٣) الأنعام: ٦١

(٤) أخرجه الترمذي (ك: الصوم، ب: ما جاء في صوم يوم الاثنين والخميس ح: ٧٤٧)، والحديث صحيح، وانظر: إرواء الغليل (٤/١٠٤ح: ٩٤٩).

(٥) أخرجه البخاري (ك: مواقيت الصلاة، ب: فضل صلاة العصر ح: ٥٥٥)، ومسلم (ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ح: ٦٣٢).

(٦) ق: ١٨

(٧) الانفطار: ١٠-١١

(٨) الرعد: ١٢

ووظيفة الحفظة تقتضي ملازمتهم للعبد في جميع أحواله بلا استثناء ، ولكن ذهب بعض أهل العلم إلى القول بأنهم يفارقونه في الأحوال التي ورد أن الملائكة لا تكون فيها ، كما لو كان العبد في بيت فيه كلب أو صورة ، لحديث البخاري ومسلم : (لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة) ، وجزم ابن وضاح والخطابي أن الحفظة والكتبة لا يفارقون العبد حتى في هذه الأحوال ، وأن المراد بالملائكة في هذا الحديث ملائكة الرحمة والبركة .

فائدة: المراد بـــ "الكلب" في حديث (لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة) الكلب الذي لم يبح اقتناؤه أما المباح اقتناؤه كالمعلم للصيد فليس بمراد ، والمراد بـــ "الصورة" مايحرم اقتناؤه ، وهو ماكان فيه روح ما لم يقطع رأسه أو لم يمتهن ، ويشهد لأن المراد بالصورة الصورة المحرمة لفظ رواية للحديث عند مسلم فيها : (لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا تماثيل) ، فجاء لفظ " تماثيل" مكان لفظ " صورة" ، ففسرها ، والله أعلم.

ثالثا: وظيفة ملك الرحم: دلت الأحاديث النبوية على وظيفة ملك الرحم دلالة تفصيلية، وفيما يلي ذكر بعضها؛ فعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «وكل الله بالرحم ملكا، فيقول: أي رب! نطفة. أي رب! علقة. أي رب! مضغة. فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال: أي رب! ذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه»[1].

وعن حذيفة بن أسيد ﷺ الغفاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا، فصورها، وخلق سمعها، وبصرها، وجلدها، ولحمها، وعظامها، ثم قال: يا رب أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب أجله، فيقول ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول يا رب رزقه، فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده، فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (ك: القدر، الباب الأول، ح: ٦٥٩٥)، ومسلم (ك: القدر، ب: كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته ح: ٢٦٤٦).

(٢) أخرجه مسلم (ك: القدر، ب: كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته ح: ٢٦٤٥).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يُرْسَلُ الملكُ فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد...» الحديث[1].

فهذه الأحاديث فيها دلالة تفصيلية لوظيفة ملك الرحم بأنه يتابع خلق الجنين في بطن أمه، وأنه يتولى تصوير خلق الإنسان وتركيب أعضائه في الرحم بأمر الله وتقديره سبحانه وتعالى، وينفخ فيه الروح، ويكتب مجمل رؤوس مقاديره.

رابعا: وظيفة قبض الأرواح: وهذه وظيفة ملك الموت، الموكل بقبض الأرواح، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾[2]، فهذه الآية فيها دليل على أن ملك الموت موكل بقبض الأرواح، فهو الذي يتوفى الناس بأمر الله تعالى وحكمه.

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟

---

(١) أخرجه البخاري (ك: أحاديث الأنبياء، ب: خلق آدم وذريته ح: ٣١٥٤)، و مسلم (ك: القدر، ب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه... ح: ٢٦٤٣)، واللفظ له.

(٢) السجدة: ١١

(٣) الأنفال: ٥٠

(٤) النساء: ٩٧

(٥) النحل: ٣٢

(٦) الأنعام: ٦١

(٧) الأعراف: ٣٧

﴿أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾[1]. وفي هذه الآيات أضاف الله وظيفة قبض الأرواح إلى جماعة من الملائكة، فكيف الجمع بين هذه الآيات والتي قبلها؟

والجواب أن ملك الموت الموكل بقبض الأرواح واحد فقط ولكن له أعوان يساعدونه في ذلك ويأتمرون بأمره ، كالشأن في ميكائيل الموكل بالقطر ، ومالك خازن النار .

مسألة: من الذي يباشر قبض الروح؟ فيه ثلاثة أقوال لأهل العلم:

١- عن قتادة والنخعي أن الرسل والأعوان هم الذين يباشرون قبض الروح، ثم يدفعونها إلى ملك الموت.

٢- روي عن الكلبي أن ملك الموت هو الذي يتولى قبض الروح، ثم يدفعها إلى ملائكة الرحمة إن كان مؤمنا، وملائكة العذاب إن كان كافرا.

٣- روي عن وهب بن منبه : أن الملائكة الذين يقرنون بالناس هم الذين يتوفونهم ، يكتبون لهم آجالهم فإذا كان يوم كذا توفته ، ثم يدفعونها إلى ملك الموت ، فهو كالعشار يؤدي إليه من تحته . وهو أغرب الأقوال وأشذها.

والصحيح أن ملك الموت هو الذي يتولى قبض الروح، ثم يدفعها إلى الملائكة؛ لما صح عن النبي ﷺ من حديث البراء بن عازب ﵁ قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، ولما يُلْحَد، فجلس رسول الله ﷺ، وجلسنا حوله...ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه،كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجئ ملك الموت- عليه السلام- حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة! اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان». قال: «فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يَدَعُوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفَن، وفي ذلك الحنوط فيصعدون بها...». قال: «وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المُسُوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: يا أيتها

---

[1] الأنعام: ٩٣

النفس الخبيثة! اخرجي إلى سخـــط من الله وغضب. فتفرَّقُ في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح فيصعدون بها...» الحديث[1].

وفي الحديث تفصيل صفة قبض أرواح بني آدم التي أجملها الله في آيتين ، قال الله : ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً﴾ والمراد الملائكة تقبض أرواح بني آدم فمنهم من تنزع روحه نزعا ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلته من نشاط

مسألة: كيف يتهيؤ لملك الموت قبض جماعة من أرواح بني آدم تباعدت أماكنهم في لحظةواحدة ؟ روي أن سائلا سأل ابن عباس —رضي الله عنهما– فقال: ما تقول في أمر غمني واهتممت به؟ قال: نفسان اتفق موتهما في طرفة عين، واحد في المشرق، وواحد في المغرب، كيف قدر عليهما ملك الموت؟ قال : (الذي نفسي بيده! ما قدرة ملك الموت على أهل المشارق والمغارب والظلمات والنور والبحور إلا كقدرة الرجل على مائدته، يتناول من أيها شاء)[2]. وقال مجاهد: حويت له الأرض، فجعلت له مثل الطُّسْت يتناول منها حيث شاء[3].

والأصل أن هذا من الأمور المغيبة التي لا ينبغي أن يُسأل عنها بكيف، والله سبحانه وتعالى قد وكل ملك الموت بذلك فلا بد أن يكون قد خلق فيه القدرة على تنفيذه.

خامسا: وظيفة ملك الجبال: قالت عائشة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣٠/٤٩٩-٥٠٣ ح: ١٨٥٣٤)، وابن مندة في الإيمان (ذكر وجوب الإيمان بالسؤال في القبر ٣/٢٠٨-٢١١ ح: ١٠٦٤)، وقال: (هذا إسناد متصل مشهور رواه جماعة عن البراء)؛ والبيهقي في شعب الإيمان (١/٣٥٥-٣٥٧ ح: ٣٩٥)، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد)؛ وقال ابن القيم في الروح (ص : ٩٢-٩٣): (الحديث صحيح لا شك فيه).

(٢) انظر: كتاب العظمة لأبي الشيخ (٣/٨٩٤).

(٣) انظر: كتاب العظمة لأبي الشيخ (٣/٨٩٤-٨٩٥).

لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت، فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله عز و جل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم علي، ثم قال: يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك؛ لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؛ فقال له رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا» [(1)]. فهذا ملك موكل بشؤون الجبال .

الملائكة عقلاء مميزون

ومن خلال استعراض ما تقدم من صفات ووظائف الملائكة يتقرر ما يلي:

إن الملائكة عقلاء مميزون مدبرون يأمرهم الله بالأمر فيعقلونه ويميزونه فينفذونه، وقد تقدم أنهم يتكلمون، ويخاطبون بني آدم والأنبياء، فهذا كله مما يدل على ذلك، فإن التخاطب لايكون إلا مع عقل الألفاظ ومعانيها فهما من المتكلم وجوابا من المخاطب ، ويدل على ذلك أيضا اختلاف ملائكة الرحمة وملائكة العذاب في الذي قتل تسعا وتسعين نفسا، فكان كل منهم يورد أدلته على أن الرجل لهم، فهذا يدل على عقلهم وتمييزهم وإدراكهم.

قال تعالى:﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [(2)] وقال تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ [(3)]؛ والأمر هو التكليف، فالله عز وجل يكلفهم ويأمرهم بالأمر فينفذونه حسب ما يأمرهم به سبحانه ولو كانوا غير مدركين مميزين لما تمكنوا من تنفيذ ما طلب منهم.

وقد حكى ابن حزم في الفصل إجماع أهل العلم على أن الملائكة عقلاء.

مسألة: هل تمثل الملائكة في صورغير صورهم يستلزم تغيرا في إدراكاتهم وعقولهم؟.

---

(١) أخرجه البخاري (ك: بدء الخلق، ب: إذا قال أحدكم: آمين...ح: ٣٢٣١)، ومسلم (ك: الجهاد والسير، ب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ح: ١٧٩٥).

(٢) النحل: ٥٠

(٣) مريم: ٦٤

والجواب : إن تصورهم في أشكال غير صورهم الأصلية لا يستلزم تبدل عقولهم وبيانهم، ودليل ذلك أن جبريل ﵇ كان يأتي إلى النبي ﷺ في كثير من الأحوال في صورة دحية الكلبي، وهو يتلو عليه كلام الله، ولا يلحقه مع تمثله في صورة غير صورته الأصلية تبدل في عقله ولا في بيانه.

المحاضرة العاشرة في ١٤١٦/٦/٦هـ

الملائكة مكلفون معصومون

ظاهر نصوص الشريعة التي عرضنا بعضا منه في المحاضرات السابقة دال على أن الملائكة عليهم السلام مكلفون ، فهم يؤمرون بالقيام بأعمالهم ، ولا يفعلون إلا ما أمروا به ، ولا يتنزلون إلا بأمرربهم ، والأمر تكليف ، وهذا ظاهر جدا لا نطيل فيه .

ولكن ، هل لهم اختيار ، أم هم مضطرون ؟ ، والجواب : نعم هم مختارون ، والشواهد على ذلك عديدة ، منها :

- كونهم مأمورين ؛ وإنما يفعلون بالأمر ؛ دليل اختيارهم ، لأن الاضطرار لا حاجة معه لتوجيه تكليف .
- قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(١) ، هذا الاستفهام والاستكشاف عن الحكمة من الملائكة من دلائل أنهم مختارون ، لأنه من لوازم الاختيار .
- ثبت في الصحيح الحديث المتقدم ذكره الذي فيه اختلاف ملائكة الرحمة وملائكة العذاب في الرجل الذي قتل مائة نفس ، والاختلاف من لوازم الاختيار .
- وصفهم الله بالخوف منه في قيامهم بأمره فهو من علة الامتثال ، وهذا من دلائل الاختيار ، قال الله : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(٢) .

فللملائكة اختيار هو من لوازم كونهم عقلاء مكلفين ، ولكن الله عصمهم عن أن يختاروا المعصية ، فلا يختارون إلا الطاعة ، لايقع اختيارهم على المعصية قط ، فلا تكون منهم المعصية لعصمة الله إياهم عنها ، والمعصوم من عصمه الله .

---

(١) البقرة : ٣٠.

(٢) النحل : ٥٠.

وهاهنا زلَّ فريقان :

الفريق الأول غلب نظره في عصمة الملائكة عن المعصية، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم البتة، فزعموا أن الملائكة خلق مسخر كالشمس والقمر، وأنه ليس لهم عقل ولا تمييز، وهذا قول باطل، والصحيح أنهم يميزون ويدركون ويعقلون كما تقدم ، وانظر قوله تعالى في جبريل عليه السلام: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾[1]؛ أي: ذو العقل السديد الحصيف الرأي.

وأما الفريق الثاني فغلب نظره في كون الملائكة مكلفين مأمورين، فزعموا أن المعصية منهم ممكنة، وأنهم ليسوا بمعصومين منها، وقال به بعض المتكلمين من المعتزلة والأشعرية ، وقد أوردوا لما ذهبوا إليه استدلالات منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]، وجه الدلالة: أن الخطاب موجه إلى الملائكة، وهو متضمن للوعيد، و الوعيد لا يكون إلا لمن تمكن منه المعصية ، أما من لا يعصي بحال فإنه لا يخاطب بالوعيد .

٢- وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[3] قالوا: هذا اعتراض على الله تعالى، والاعتراض على الله معصية.

٣- عصيان إبليس وامتناعه عن السجود لآدم عليه السلام، وإبليس من الملائكة عندهم ؛ لأن الله استثناه من الملائكة، باستثناء زعموه متصلا.

٤- قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[4]. وقد استدلوا بما ورد في تفسير الآية من أن هاروت وماروت كانا ملكين، فأراد الله أن يمتحنهما، فركب فيهم الشهوة، ثم عصوا بعد

---

(١) النجم: ٦

(٢) الأنبياء: ٢٩

(٣) البقرة: ٣٠

(٤) البقرة: ١٠٢

ذلك، فقالوا: هاروت وماروت كانا ملكين، وقد عصيا الله، فالمعصية من الملائكة ممكنة، ثم إن الله أخبر بأنهما عَلَّمَا الناس السحر، وتعليم السحر معصية.

والجواب عن هذه الاستدلالات من وجهين، مجمل ومفصل، وهما كما يلي:

أولا: الجواب مجملا: فيقال: دعوى أن الملائكة تمكن منهم المعصية مصادمة لصريح القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1]، فهذه الآية فيها نفي لجنس المعصية عن الملائكة، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾[3]، فهذه الأدلة القرآنية واضحة صريحة في نفي المعاصي عن الملائكة وبراءتهم منها كل البراءة ، وما صادم القرآن فلا محل للنظر فيه فضلا عن أن يقال به.

ثانيا: الجواب مفصلا:

١ -الجواب عن استدلالهم بالآية الأولى، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4]، فنقول: هذا شرط ، والشرط لا يلزم وقوعه ،ولا يقع قط من الملائكة أن يقول أحدهم : إني إله من دون الله ، هم معصوم عن أدنى من هذا عليهم السلام ، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[6]؛ فلا يمكن أن يكون لله ولد، ولا يمكن للرسول ﷺ أن يشرك بالله جل وعلا ، وهذا الأسلوب في الكلام لبيان عظم استحالة وقوع هذا المشروط.

والمقصود أن الوعيد يتوجه إن فعلوا ؛ وهم لا يفعلون فلا يلحقهم وعيد ، ففيه تقرير

---

(١) التحريم: ٦

(٢) الأنبياء: ٢٧

(٣) الأنبياء: ١٩

(٤) الأنبياء: ٢٩

(٥) الزخرف: ٨١

(٦) الزمر: ٦٥

أمرين : الإقناط الكلي للكفرة من أن تكون لعبادتهم الملائكة من دون الله معذرة ، والإيذان بغاية شناعة ادعاء الألوهية .

والجواب عن استدلالهم بالآية الثانية، وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾[1]؛ فيقال: الاستفهام في لغة العرب يأتي لمعان عديدة، فيأتي للاستفهام والاستعلام والاعتراض والتعجب والتقرير، فحمل الاستفهام على واحد منها يحتاج إلى دليل، والدليل قاض بأن الاستفهام لا يصح حجمله على الاعتراض ألبتة ، لأن الاعتراض على الله كفر ، والملائكة معصومون عن أدنى منه ، ولو كان استفها إعتراض لما جمع الله بين ذكره في كتابه مع تزكيته لملائكته فيه تزكية عالية كما تقدم في مترلتهم عند رهم عليهم السلام .

والاستفهام هنا استفهام استعلام واستكشاف للحكمة ، وذا مفهوم من السياق وبه قال أهل العلم ، وقد يكون سؤال تعجب من كمال علم الله وإحاطة حكمته بما خفي عن خلقه ، فإن قيل : أين التعجب مع قولهم : (من يفسد فيها ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) ، قيل : هو نظير ما ذكره الله عن زكريا عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾[2] وقد سأل عليه السلام هذا السؤال حين بُشر بالولد وهو الذي كان قد دعا الله يطلب أن يهبه الولد فما موقع قوله : وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر إلا تعليل وجه التعجب ؟ .

وقد يكون سؤال الملائكة هذا تقريرا خرج مخرج السؤال ، قالوا : أتجعل فيها ... ؟ أي: إنك تفعل ذلك ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك لكمال قدرتك وحكمتك ، فيكون كقول جرير يمدح عبدالملك بن مروان :

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح

---

(١) البقرة: ٣٠

(٢) آل عمران: ٤٠

أي : أنتم كذلك ، فهو تقرير وإلا لم يكن مدحا .

فالاستفهام يرد في اللغة العربية لمعان عديدة، والاعتراض واحد منها، ولكن لا يجوز حمل الاستفهام في الآية على الاعتراض ، والأليق بحال الملائكة وما دلت عليه النصوص الشرعية المتضمنة لعصمتهم حمل السؤال في الآية على معانيه التي يحتملها وليس منها الاعتراض ألبتة .

والجواب عن استدلالهم بالدليل الثالث، وهو عصيان إبليس مع كونه من الملائكة حسب زعمهم. فنقول: إن إبليس ليس من الملائكة، وذلك لأدلة كثيرة منها:

١- قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾[1] فهذه الآية نص قاطع في محل النزاع بأن إبليس من الجن، وأنه لم يكن من الملائكة.

ثم إن الفاء في قوله: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ فاء السببية، فهي لبيان السبب، أي: إنه كان من الجن ولذلك فسق عن أمر ربه، ولو كان من الملائكة لما أمكن منه المعصية.

وكذلك أخبر الله تعالى في هذه الآية بأن إبليس له نسل وذرية، وهذا دليل على أن إبليس من الجن، وليس من الملائكة؛ لأنه لو كان من الملائكة لما كان له نسل وذرية كما هو حال الملائكة.

فإن قيل : فما وجه استثنائه منهم ؟ ولماذا أفردت الملائكة بالذكر عند ذكر أمرهم بالسجود و لم يذكر أنه أمر إبليس به ، و لم يذكر إلا في الاستثناء ؟

قيل : وجه استثنائه من الملائكة أنه كان مأمورا معهم بالسجود وليس هو منهم ، و لم يذكر معهم عند ذكر الأمر بالسجود لثلاثة وجوه :

الأول : التغليب ، فإنه كان جنيا واحدا مع جماعة الملائكة الذين لا يعلم عدهم إلا الله لكثرهم ، فهو مغمور بينهم .

الثاني : الاستغناء بدلالة استثنائه على أنه مأمور عن تكرار ذلك .

الثالث : حط قدره ، فذكر في موضع الانتقاص و لم يذكر في مقام التكريم .

---

(١) الكهف: ٥٠

٢- قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [1]؛ فهذه الآية تدل على أن إبليس له نسل وذرية، وأما الملائكة فمعلوم ومقرر بأنه لا نسل لهم ولا ذرية، لأنهم لا يتناكحون ولا يتناسلون، فإبليس جنس غير جنس الملائكة.

٣- قال تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [2]؛ فإبليس مخلوق من نار، والملائكة قد ثبت في السنة أنها خلقت من نور، ففرق بين المخلوقين، فأحدهما من نار ، والآخر من نور ، فلا يصح أن يقال بأن أحدهما من الآخر

فإذا علم أن إبليس ليس من الملائكة علم أن الاستثناء المذكور في الآية ليس متصلا بل هو منقطع، وبذلك سقط استدلالهم بالاستثناء الوارد في الآية على كون إبليس من الملائكة، وتبين ضعف استدلالهم وسقوطه وبعده عن الصواب.

وأما ما نقل عن بعض السلف بأن إبليس كان من الملائكة ثم كفر فأصبح شيطانا فهذا كله من الإسرائيليات التي لا عبرة لها ، ولم يوردها من أوردها من أهل العلم للاحتجاج والاعتماد بل إنما أوردوها للعلم بها ، وهذا نهجهم في ذكرهم الاسرائيليات .

وأما استدلالهم بالدليل الرابع، وهو ما ذكر في تفسير الآية بأن هاروت وماروت كانا ملكين ركب الله فيهما الشهوة فحصلت منهما المعصية فيجاب بأن ما ورد عن تركيب الشهوة فيهما وعن معصيتهما كله من الإسرائيليات الموضوعة المردودة التي لا صحة لها، فلا يصح الاحتجاج بها.

وأما الاستدلال بتعليمهما الناس السحر على معصيتهما فغير مستقيم؛ لأن الله عز وجل جعلهما فتنة للعباد، فكان تعليمهما السحر بأمر الله تعالى، ليبتلي به عباده فلا معصية منهما في ذلك، ومن تمام وظيفتهما هذه التي كُلفا بها بأمر الله أنهما ما كان يعلمان أحدا السحر حتى ينبهانه إلى خطورة السحر وأنه كفر، وهذا من تمام تنفيذهما لأوامر الله سبحانه وتعالى.

---

(١) الأعراف: ٢٧

(٢) الأعراف: ١٢

وبذلك يتقرر أن الملائكة مكلفون تكليفا اختياريا، فهم عقلاء مميزون مدركون مختارون ، و معصومون من اختيار المعصية ، فلا يختارون إلا الطاعة ، وهذا من تمام عقولهم ورشدها.

المحاضرة الحادية عشرة في ١٢/٦/١٤١٦هـ.

تفاضل الملائكة

تقدم الكلام عن مترلة الملائكة عند رهم ، والواجب لهم على المسلم ، ومترلة الإيمان هم من الدين ، فالملائكة خلق فاضل ، هم من أشرف الخلق وأفضلهم ، وهم متفاضلون بعضهم أفضل من بعض ، وتفاضلهم لا يستلزم نقص المفضول ، بل هو تفاضل بين أفاضل، وهذا كالتفاضل بين الأنبياء، والتفاضل بين صفات الرب جل وعلا، وهو كالمفاضلة بين الخصال الكريمة، فتقول مثلا: الشجاعة أفضل من العفو، ففي هذا كله مفاضلة بين أمور كلها فاضلة، ولا يستلزم في هذه المفاضلات نقص في المفضول أو عيب فيه.

والتفاضل بين الملائكة ثابت في الشرع، ومما يدل على ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾[١]؛ فالجمهور على أن المقصود بـ﴿ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾ طائفة من الملائكة،

(١) النساء: ١٧٢

وهم الملائكة الكروبيون، وهم حملة العرش ومن حوله ، فيكون تخصيصهم بالذكر في الآية دليل تقدمهم في الفضل على سائر الملائكة .

٢- عن رفاعة بن رافع الزرقي ﷺ قال: جاء جبريل ﷺ إلى النبي ﷺ فقال: «ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: «من أفضل المسلمين». -أو كلمة نحوها- قال: وكذلك من شهد بدرا من الملائكة.

فهذا الحديث يدل دلالة واضحة صريحة على التفاضل بين الملائكة، وأن الملائكة الذين شاركوا في غزوة بدر هم من أفضل الملائكة الذين لم يشاركوا فيها، كما أن الصحابة الذين حضروا غزوة بدر هم أفضل من غيرهم من الصحابة الذين لم يحضروها.

من أفضل الملائكة؟ لأهل العلم كلام في ذلك، فقيل: أفضلهم هم المقربون الكروبيون حملة العرش ومن حوله، وأفضل هؤلاء المقربين ثلاثة، وهم: جبريل وميكائيل وإسرافيل، وذلك لأن النبي ﷺ خصهم بالذكر في دعاء الاستفتاح لصلاة الليل حيث كان يقول: «اللهم رب جَبْرَائِيْلَ ومِيْكَائيلَ وإسرافيل فاطر السماوات والأرض...»[1]. فتخصيص النبي ﷺ هؤلاء الثلاثة بالذكر دون من سواهم يدل على فضلهم على غيرهم.

وكذلك مما يدل على فضل جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام على غيرهم اختصاص هؤلاء الثلاثة بوظائف متعلقة بأنواع الحياة كما تقدم ، فجبريل ﷺ موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكل بالنبات والقطر الذي به حياة الأبدان والأجسام، وإسرافيل ﷺ موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الأموات وقيامهم للبعث بعد الموت. فشرف وظائفهم يدل على شرفهم وفضلهم على من سواهم.

وإذا سلكنا مسلك التفضيل بناء على التخصيص بالذكر فيكون جبريل وميكائيل أفضل من إسرافيل؛ لأن الله تعالى خصهما بالذكر في قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴾[2]؛ فخص الله جبريل وميكائيل بالذكر دون إسرافيل وذلك يقتضي فضلهما عليه بناء على ما ذكر.

---

(١) أخرجه مسلم (ك: صلاة المسافرين وقصرها، ب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه ح: ٧٧٠).

(٢) البقرة: ٩٨

وقد ورد ترتيبهم في الذكر في دعاء النبي ﷺ بتقديم جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل وعلى هذا يكون ترتيبهم في الفضل .

وجبريل عليه السلام أفضل الملائكة على الإطلاق؛ لأن الله عز وجل خصه بالذكر في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، تارة ذكره بمفرده، وتارة ذكره مقرونا مع غيره من الملائكة، فذكره بمفرده في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] فهذان موضعان من القرآن الكريم لم يذكر الله فيهما أحدا من الملائكة سوى جبريل عليه السلام، وذلك دليل على فضله وشرفه وتقدمه على غيره من الملائكة.

ثم ذكره الله تعالى مع غيره من الملائكة في مواضع عديدة من القرآن؛ فقال تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ﴾[5]؛ فهذه ثلاثة مواضع من القرآن الكريم ذُكِر فيها الروح -وهو جبريل عليه السلام- مخصوصا بالذكر من بين الملائكة.

فذكر الله جبريل عليه السلام في القرآن الكريم تارة بمفرده وتارة مقرونا مع غيره من الملائكة يقتضي فضله على غيره من الملائكة.

وقد قامت أدلة صريحة تدل على فضل جبريل على سائر الملائكة، فيما يلي ذكرها:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل: إن الله قد أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله قد أحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في أهل الأرض»[6]. فالله عز

---

(١) البقرة: ٩٧

(٢) التحريم: ٤

(٣) القدر: ٤

(٤) المعارج: ٤

(٥) النبأ: ٣٨

(٦) أخرجه البخاري (ك: التوحيد، ب: كلام الرب تعالى مع جبريل، ونداء الله الملائكة ح:

وجل يخاطب جبريل أولا بالأمر ثم يقوم جبريل بنقل هذا الأمر الذي أمره به ربه بنقله إلى أهل السماء من الملائكة.

٢- عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا تكلم بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل...» (١). فتخصيص جبريل بنقل الوحي إلى الملائكة دون غيره فيه تفضيل له عليهم.

٣- قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ (٢)؛ فهذه الآيات وصف الله عز وجل فيها جبريل ﷺ بالرسالة والكرم والقوة والمكانة عند ذي العرش والأمانة، ووصف بأنه مطاع في السماء، فأهل السماء عليهم الطاعة، وله عليهم الإمرة، فهو أمير الملائكة وسيدهم وأفضلهم. هذا هو الظاهر من الآيات والأحاديث النبوية.

فوجه التفاضل بين الملائكة عليهم السلام إنما هو راجع إلى تفاوت وظائفهم ومنازلهم، فكلما كان الملك أقرب إلى الله تعالى فهو أفضل، وكلما كانت وظيفته أشرف كان أفضل.

وإذا تبين أن الملائكة متفاوتون في الفضل، وأن بعضهم أفضل من بعض، وأنهم جميعا ليسوا على درجة واحدة في الفضل والشرف بل هم فيما بينهم متفاوتون ومتفاضلون، تقرر لدينا أصل عظيم من أصول الاعتقاد، وهو المفاضلة بين المؤمنين وتفاضلهم في الإيمان، وهذا يهدم أصل المرجئة الذين يزعمون أنه لا تفاضل بين المؤمنين، وأنه لا تفاوت في الإيمان، وهو أصل بدعي واضح البطلان، وإثبات التفاضل بين الملائكة يدل على إثبات التفاضل بين

٧٤٨٥).

(١) أخرجه أبو داود (ك: السنة، ب: في الرد على الجهمية ح: ٤٧٣٨)، وابن حبان كما في الإحسان (١/٢٢٣-٢٢٤ ح: ٣٧)، وذكره البخاري في (ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣] تعليقا بصيغة الجزم موقوفا على ابن مسعود ﷺ.

(٢) التكوير: ١٩-٢١

المؤمنين، فكلا الجنسين مكلفون مؤمنون.

المفاضلة بين الملائكة والبشر[1]: الكلام في هذه المسألة والجدال فيها لم يكن معروفا عند السلف، وإنما عرف ذلك في كتب المتأخرين من المتكلمين ومن نحا نحوهم، وقد وردت أحاديث بعضها ضعيفة وبعضها موضوعة، تدل على أن البشر أفضل من الملائكة، ومنها ما يلي:

١- حديث: «المؤمنون أكرم على الله من بعض الملائكة» ولكن في سنده متروك، والحديث ضعيف جدا.

٢- حديث: «قالت الملائكة: جعلت الدنيا لبني آدم، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، فاجعل لنا الآخرة...» ولكن في سنده كذاب متروك.

٣- حديث: «لم يخلق الله خلقا أكرم عليه من بني آدم، فقيل: ولا الملائكة يا رسول الله! قال: ولا الملائكة» ولكنه حديث موضوع.

٤- حديث: «أنتم أفضل من الملائكة» قاله النبي ﷺ لأصحابه. ولكنه حديث معلول ففيه علل.

فالأحاديث الواردة في هذا المعنى كلها دائرة بين شدة الضعف والوضع، و قد استظهر ابن تيمية رحمه الله من ورود هذه الأحاديث في دواوين الإسلام من غير نكير من الأئمة على ما دلت عليه وإن نقدوا أسانيدها ، وهي قد دلت على أن صالح البشر أفضل من الملائكة ؛ أن هذا هو مذهب السلف .

وذكر ابن كثير أن أقدم مباحثة رآها في هذه المسألة ما جاء في تاريخ دمشق لابن عساكر حيث ذكر حادثة وقعت في مجلس عمر بن عبد العزيز، واستدل فيها على تفضيل صالح البشر على الملائكة.

وذكر ابن تميم الحنبلي بسنده إلى الإمام أحمد أنه كان يقول بتفضيل صالح البشر على الملائكة.

---

(١) المراد بقولنا هنا (البشر) المؤمنون من البشر خاصة ، فهو من العام المخصوص ، أما الكفار فلا يدخلون في المفاضلة ولا كرامة إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل .

والمسألة كثر فيها الأخذ والرد عند المتأخرين ، واستدل كل فريق بأدلة من كتاب الله وصحيح سنة رسول الله الاستدلال بها يحتمل قوله ، ودعم كل فريق أدلته من الوحي باستدلالات عقلية مقبولة محتملة ، ونقض كل فريق على استدلالات الآخر احتمالاته بوجوه من النقض مقبولة ، وتتبعا النقض بالنقض حتى طال الجدل بلا خاتمة بيِّنة ينتهي إليها النظر لايتجاوزها ، وحتى أخرج الجدل إلى مخرج المنافرة ، فقال بعض مفضلي الملائكة : للملائكة أن تقول : أليس منكم فرعون والنمرود و أبوجهل وأساطين الكفرة ؟. وقال بعض مفضلي البشر : للبشر أن يقولوا : ألستم خدمنا في الجنة ؟ .

ورأت طائفة أن أدلة الفريقين متكافئة فاطمأنت إلى التوقف في المسألة ، فتحصلت في المسألة ثلاثة مذاهب:

١- مذهب يقول بتفضيل الملائكة على البشر مطلقا، وهو مذهب المعتزلة[1]، وجمهور الأشعرية، وإليه ذهب ابن حزم في كتابه الفصل، وبه قال بعض أهل السنة.

المحاضرة الثانية عشرة في ١٣/٦/١٤١٦هـ.

٢- مذهب يقول بتفضيل صالحي البشر والمؤمنين على الملائكة، وإليه ذهب الصوفية، وجمهور أهل السنة والجماعة وبعض الأشعرية.

٣- مذهب التوقف، وهو مروي عن جماعة من أهل السنة، وجماعة من الأشعرية.

وقد ذهب كثير من أهل العلم إلى أن هذه المسألة من فضول المسائل، وأنه لا ثمرة لها وأنه لا فائدة من معرفتها إلا معرفة الشيء على ما هو عليه. فقد ذكر البيهقي في شعب الإيمان بأنه (ليس فيه من الفائدة إلا معرفة الشيء على ما هو به) [2]، وذكر تاج الدين الفزاري: أن هذه المسألة من بدع علم الكلام التي لم يتكلم فيها الصدر الأول من الأمة، ولا

(١) هذا مذهب المعتزلة مع أن الزمخشري يقول بتفضيل الأنبياء على الملائكة، وقد ذكر ذلك في تفسيره فيكون قد خالف مذهب المعتزلة في هذه المسألة.

(٢) شعب الإيمان (١/١٨١).

من بعدهم من أعلام الأئمة، ولا يتوقف عليها أصل من أصول العقائد، ولا يتعلق بها من الأمور الدينية كثير من المقاصد، ولهذا خلا عنها طائفة من مصنفات هذا الشأن، وامتنع من الكلام فيها جماعة منا الأعيان. وقال شارح الطحاوية: كنت ترددت في الكلام على هذه المسألة لقلة ثمرتها، وأنها قريب مما لا يعني...فالسكوت عن الكلام في هذه المسألة نفيا وإثباتا والحالة هذه أولى، ثم ذكر أنه لولا أنه وجدها في بعض الكتب وولولا أن الناس تكلموا فيها لما تكلمت عنها. ثم قال بعد تمام كلامه فيها: إن هذه المسألة من فضول المسائل ولهذا لم يتعرض لها كثير من أهل الأصول[1].

ولعل سبب هذا الإعراض أن جميع الأدلة الواردة في استدلالات المتكلمين في المسألة لا تخرج عن كونها أدلة دالة على الفضائل لا على الأفضلية، وقد تقدم أن ثبوت فضيلة لشيء لا يستلزم تفضيله بها مطلقا، والمفاضلة الأقوم لا تكون بين خصائص يختص بها كل جنس عن الآخر فهي مما يخصه ويتقيد به لا يشاركه فيه الآخر ، وإنما يكون في شيء اشترك فيه المفاضل بينهما وزاد أحدهما على الآخر فيه ، وإذا نظرنا إلى مسألتنا هذه نجد أن الملائكة والبشر يشتركان في شيء، وهو العبودية، فتكون العبودية هي مورد المفاضلة بينهم.

ثم إن مقياس المفاضلة في الشرع يرجع إلى العبودية، فكل من حقق العبودية لله وكانت عبوديته لله تعالى أتم وأكمل فهو أفضل.

فإذا نظرنا في المسألة بهذا المقياس تكون لها ثمرة عظيمة .

وبالنظر بمقياس العبودية في المفاضلة بين الملائكة والبشر لأنها موضع اشتراكهما وأنها مورد المفاضلة في الشرع نجد أن عبودية البشر أفضل من عبودية الملائكة من وجهين:

١- أن العبادة من البشر عبادة من مكلف غير معصوم من الوقوع في المعصية، فهو يجاهد نفسه على الصبر على الطاعة وترك المعصية التي تميل نفسه إليها، كما أخبر النبي ﷺ بأن النار حفت بالشهوات والجنة حفت بالمكاره.

وأما الملائكة فعبادتهم عبادة مكلف معصوم من الوقوع في المعصية، فعلى هذا تكون

---

(١) انظر: ما ذكره الفزاري، وما قاله شارح الطحاوية في شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٢٨١-٢٩٠) بتحقيق: أحمد محمد شاكر، طبع وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة.

عبادتهم أصون في ذات الأمر من المعصية فلا تحتاج الملائكة فيها لمجاهدة أنفسها كما تحتاجه البشر ، والعبادة مع المشقة أفضل.

٢- أن في عبادة البشر أنواعا من العبادة لا تتهيأُ للملائكة ، ومنها ماهو أحب إلى الله من غيره ، كالتوبة والاستغفار.

وهذا يترتب عليه فائدة عظيمة جدا، وهي أنك إذا علمت أنك بعبوديتك لله تكون أفضل من الملائكة؛ ذلك الخلق العظيم الجليل المكرم عند الله تعالى والمقرب إليه سبحانه يظهر من ذلك فضل التوحيد وعظمته، وإذا قام في نفسك اليقين بفضل التوحيد وعظمته أدى ذلك إلى زيادة العمل وتحقيق العبودية لله تعالى، فنكون قد حصلنا من هذه المفاضلة على ثمرتين: ثمرة في جانب الاعتقاد، وهو معرفة فضل التوحيد وأهميته، وثمرة في جانب العمل، وهو الاندفاع إلى العمل والعبادة، والجد والاجتهاد في الإكثار من العمل الصالح ليلا ونهارا وفي كل وقت وحين.

وبذلك نخرج من المسألة بفوائد عظيمة، وهذا أفضل من أن الأخذ والرد الذي أنتجه النظر في الخصائص التي تخص كل جنس فلا يشاركه فيها الجنس الآخر وهي من ضرورة وجوده لا اختير له فيها ، ككون الملائكة من نور والبشر من طين ثم المناظرة على تفضيل النور أو الطين ، ثم كان ماذا ؟ فهو خوض في ما لا فائدة ذات قيمة فيه.

المحاضرة الثالثة عشرة في ١٤١٦/٦/١٩هـ

ذكر بعض ما وقع من الباطل في باب الإيمان بالملائكة عليهم السلام

ورد الباطل في هذا الباب من جهتين:

الأولى : طوائف من منتحلي الملة ، ومن أهل القبلة.

الثانية : أهل الأديان والملل غير الإسلام.

وسوف نستعرض نماذج لما وقع من الجهتين فنقول:

أولا: بعض الباطل الذي ادعته طوائف من منتحلي الملة ومن أهل القبلة :

وهؤلاء قد وقعوا في أمور تتفاوت بين البدعة والكفر، فمن أعظم ما وقع عند هؤلاء:

١- ما أحدثه الفلاسفة كابن سينا وغيره من أن الملائكة هي نوازع الخير في الإنسان، وأما الملائكة الذين يأتون الأنبياء فإنهم يقولون: إن الملائكة صور يتخيلها النبي وليست مخلوقات موجود خارج نفس النبي .

وقولهم هذا مبني على قولهم في النبوة، فهم يقولون: إن النبوة مكتسبة ، يحصلها النبي بثلاث صفات يكتسبها اكتسابا بالرياضات الروحية ، التي تقوم على قمع الجسم بالتجويع والتعرض للشمس ونحو ذلك حتى تخف الروح فتصفو لحصول هذه الصفات الثلاث التي هي حقيقة النبوة ، وهي :

أ- القوة الحدسية ويسمونها العلمية أيضا ، وهي أن يكون عند النبي قوة حدس تمكنه من معرفة العلوم بغير معلم.

ب- أن تكون عنده قدرة تخيلية ، تمكنه من تخيل صور يراها – هي المسماة بالملائكة- ،وأصوات يسمعها – هي المسماة بالوحي -.

ج- أن تكون عنده قوة تأثيرية ، تمكنه من التأثير في هيولي العالم ، فيستطيع أن يلقي العصى فيقلبها حية ، وأن يضرب البحلا بعصى فبفلقه طودين ، وأن يضع يده في الماء فيزداد ، ونحو ذلك مما يسمى بالآيات .

وقد سعى كثير من أصحاب هذه المقالة للنبوة فأنهكوا أجساده بالجوع والتعرض للشمس ونحوه حتى ذهبت عقولهم .

وحقيقة هذه المقالة إنكار وجود الملائكة، وإنما يذكرون الملائكة في كتبهم مثبتين هذا اللفظ، ويعتقدون به المعنى الذي ذكرناه ليوهموا الناس أنهم على الملة يثبتون ما جاءت به . وهذه طريقتهم في نفي ما جاء عن الأنبياء، يثبتون الألفاظ التي جاءت بها الشريعة قاصدين بها المعاني الباطلة.

وهذا القول كفر مخرج من الملة؛ لأن الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، والملائكة الذين أوجب الشرع الإيمان بهم لا يؤمن بهم أصحاب هذا القول، وهو قول يرده جميع ما تقدم من بيان خلق الملائكة، وصفاتهم، وعددهم، وأفعالهم، ووظائفهم.

٢- وهو قول من يقول: إن الملائكة والجن جنس واحد، وأنهم لا يتميزون إلا بالاسم والسكنى، وقالوا: الملائكة هو الجنس النقي من الجن. وهذا مصادم للثابت في الكتاب والسنة من أن الملائكة خلق من نور والجن خلق من نار ، فهما جنسان مختلفان ، وقد استدلوا لدعواهم هذه بأدلة منها:

قوله سبحانه: ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾[١] وقد سبق ذكر وجه الاستدلال به لهذا القول والرد عليه بالتفصيل عند الكلام على تسمية الملائكة جنة .

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾[٢] وقد سبق أن بيَّنَّا أن هذا الاستثناء منقطع، وأن الجنسين مختلفان.

وقوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[٣]، ووجه استدلالهم بهذه الآية أن الله تعالى خاطب فيها من يعقل، ولم يذكر إلا الجن والإنس فقط، والملائكة عقلاء مكلفون فيشملهم الخطاب وإنما لم يذكروا باسمهم لأنهم طائفة من الجن فذكروا في ذكر جنسهم .

والجواب عن ذلك : أن هذا للمخاطبين بشريعة النبي ﷺ والملائكة ليسوا مخاطبين بها ، وهو خطاب لإقامة الحجة على مكلفين تمكن منهم المعصية والملائكة لاتمكن منهم المعصية ولا حاجة لمحاجتهم .

---

(١) الصافات: ١٥٨

(٢) الكهف: ٥٠

(٣) الرحمن: ٣٤

٣- وهناك قولان ضالان في أجنحة الملائكة، أحدهما محدث والآخر قديم.

فأما المحدث منهما فهو قول محمد فريد وجدي[١]، وحاصل قوله وزعمه: أنه ليس لأجنحة الملائكة فائدة معقولة، وأن المقصود بالأجنحة عند الملائكة القوى، وأن تفاوت أعداد الأجنحة مثل تفاوت الفولت الكهربائي في الماكينات.

وهذا قول فاسد باطل؛ فإن معنى الأجنحة في اللغة العربية معروف، ولا يصرف عن معناه المعروف إلا بدليل، ولا دليل على ذلك، وأما دعواه بأنه ليس لأجنحة الملائكة فائدة معقولة فمردودة أيضا، فكون المتكلم لا يعقل فائدة لا يعني عدم وجودها، والله سبحانه وتعالى لا يفعل شيئا إلا لحكمة يظهرها لنا أحيانا ويخفيها عنا تارة أخرى.

وأما القول القديم فهو ما نقله الجاحظ عن بعض المتكلمين[٢]: أن كون عدد أجنحة الملائكة زوجيا معقول المعنى أما كونها فرديا فغير معقول، بل فيه عدم استقامة الخلقة ، وعدم استطاعة الطيران فيصير يذهب بعضه إلى أسفل وبعضه إلى أعلى .

ولكن هذا قول باطل، المعارضة به تكذيب لقول الله في الملائكة ﴿ أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣]، فقوله (ثلاث) فيه الإفراد نصا ، وقوله (يزيد في الخلق ما يشاء) فيه الإفراد ضمنا .

٤- قول القائل :إن كلام الملائكة يكون بلسان الحال، ولا يكون بلسان المقال، وعلى هذه المقالة فلا مقال لهم يأخذ حكم التكلم بحرف وصوت ، وماهي إلا دلالة الحال يعبر عنها بالمقال ، وهذا القول نقل محمد رشيد رضا عن شيخه محمد عبده أنه احتمله[٤]، وشبهه بقول السموات والأرض: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾[٥].

وقد قررت النصوص الشرعية كما قدمنا أن كلام الملائكة يكون بحرف وصوت

---

(١) انظر: دائرة معارف القرن العشرين (٤٩٩/١).

(٢) انظر: كتاب الحيوان للجاحظ (٢٣١/٣-٢٣٤).

(٣) فاطر : ١.

(٤) انظر: تفسير المنار (٢٥٦/١).

(٥) فصلت: ١١

يسمع، وأن فيه الأمر والنهي، والقصص، والإخبار، والإنشاء، وأنها تتخاطب فيما بينها، وأنها تتكلم مع الله عز وجل، ومع أهل الجنة والنار، ومع الأنبياء والمرسلين وغيرهم، بل دلت الأدلة أن الملائكة تتكلم بلغات مختلفة، فقد كانت تأتي الأنبياء، وكانت تحادث كل واحد منهم بلغته، فكلامهم كلام حقيقي بلسان المقال ، بحرف ينطق وصوت يسمع ، والقول باحتمال أن يكون بلسان المقال ساقط لا محل له ألبتة .

ودعوى أن كلام السماوات والأرض الوارد في آية سورة فصلت المذكورة هو بلسان الحال لا المقال ، فهي قول قال به بعض المفسرين المتأخرين لم يعرف عند السلف ومتقدمي المفسرين و أهل العلم على أنهما تكلمتا حقيقة بلسان المقال ، فإن هذا هو ظاهر معنى قول الله : ﴿ قَالَتَا ﴾ ، وقول القائل لايكون إلا كلاما حقيقيا ، وقد فصَّل الله قولها بحروفه وهو : ﴿ أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ ، وهذه حروف مركبة منطوقة، وقد نطقا بها جوابا لقول الله لهما : ﴿ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً ﴾ فهو حوار بين متخاطبين يتكلمان بكلام منطوق مسموع ، ثم ما الذي يدفع أن يكون كلامهما مقالا ؟! ، لاشئ يدفعه ، وقدرة الله أتم من أن نمنع إنطاقه السماوات والأرض كما أنطق لرسوله ﷺ الحجر وجذع النخلة ، وكما أنطق الجبال تُؤَوِّب مع داود ، وكما يُنطق الأيدي والأرجل يوم القيامة .

ثانيا: باطل أهل الأديان والملل: وهم على قسمين:

القسم الأول: وهم الذين لا يثبتون الملائكة بالكلية، وهم الملاحدة الماديون الذين لا يؤمنون إلا بالمحسوسات، أهل السفسطة بالعقليات .

القسم الثاني: وهم الذين يقرون بالملائكة، ولكن لهم فيهم عقائد باطلة، وهم طوائف:

أ- المشركون: وهم يعرفون الملائكة، ويعرفون بعض التفاصيل عنهم، ويعرفون الكرام الكاتبين، كما جاء في شعر الأعشى:

فلا تحسبني كافرا لك نعمة   عليَّ شهيد، شاهدُ اللهِ فاشهد

ويعرفون حملة العرش، ومن ذلك قول أمية بن الصلت:

مجدوا الله فهو للمجد أهل   ربنا في السماء أمسى كبيرا

بالناء العالي الذي بهر النا   س وسوى فوق السماء سريرا

شرجعا لا يناله بصر العـــ ين ترى حوله الملائك صورا

وهذا من بقايا ملة إبراهيم ﷺ فيهم، ومع ذلك لهم فيهم عقائد باطلة منها:

أولا: اتخاذهم الملائكة آلهة من دون الله، فكانوا يذبحون لها القرابين لتشفع لهم عند الله تعالى. وقد نبه الله تعالى على عبادة المشركين للملائكة، فقال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾[3].

وهذه الدعوى منهم تضمنت ضلالتين عظيمتين:

١- دعوى الولد لله عز وجل، وقد فصل الله الجواب عن هذه الدعوى، فنفى الولد في الجملة، فقال تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾[4]، ونفى عن نفسه أسباب الولد، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾[5]؛ ليس له ولد من زوجة ولا بالتبني.

وقد حسم الله سبحانه أصل الأمر في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾[6] فاتخاذ الولد لا يليق بالله عز وجل، ولا ينبغي له .

٢- دعوى أن الملائكة بنات الله، وقد فندها الله تعالى من وجوه كثيرة، منها:

أ- نفى عن الملائكة وصف البنات بالجملة، ونعت واصفهم بذلك بأنه لا يؤمن، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ ﴾[7].

ب – بين الله أن دعواهم هذه لا حجة فيها وليست عن علم، فقال تعالى: ﴿**وَمَا لَهُم**

---

(١) الزخرف: ١٩

(٢) النجم: ٢٧

(٣) الأنبياء: ٢٦

(٤) الإخلاص: ٤

(٥) الجن: ٣

(٦) مريم: ٩٢

(٧) النجم: ٢٧

بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ [١] وقال في آية أخرى: ﴿ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [٢].

ثانيا: ادعاء المشركين أن الرسول إلى الناس لا يكون إلا من الملائكة، قال تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [٣]، وقال تعالى: ﴿ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً ﴾ [٤]، وليست دعواهم هذه إلا مجرد استبعادٍ لا دليل عليه ولا يقتضيه عقل .

وقد بين الله عز وجل في الرد عليهم وجوه الحكمة القاضية أن يكون الرسول إلى الناس بشرا مثلهم ، وهي حكم تعود على الاستبعاد بالتسفيه والنقض ، فقرر الله هاهنا أمورا :

١- قال تعالى: ﴿ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ی﴾ [٥]، فبين سبحانه أن الملائكة لم يخلقوا لاستيطان الأرض والعيش فيها ، ولا قدرة للبشر للبشر في تحمل الأخذ عن الملائكة والأنس بهم ،وحاجة الرسالة والمرسل إليهم قاضية بأن يكون الرسول مقيما بين أظهرهم يداوم تعليمهم ، ويجدونه عند حاجتهم للفتوى والحكم والبيان ،وأن يأنسوا به وإليه ويستطيعوا التعايش معه ، ثم إن شأن الملائكة في ذواتهم وفي قدراتهم غير شأن البشر ، وحاجة الرسالة والمرسل إليهم قاضية بأن يكون المرسل قدوة يقتدون بأفعاله التي أرسل لتعليمها ويتابعونه على صورتها منه ، فظهرت أن حاجة الرسالة والمرسل إليهم في أن يكون الرسول منهم أنفسهم ، ولو كان من الملائكة لما استطاعوا التلقي عنه ، وإن استطاعوا فلن يستطيع وهم أن يتلازموا في المكان ويتعايشوا .

---

(١) النجم: ٢٨
(٢) الزخرف: ١٩
(٣) المؤمنون: ٢٤
(٤) فصلت: ١٤
(٥) الإسراء: ٩٥

٢- قال تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾[(١)]؛ فبين الله أنه لو كان الرسول فلا بد من أن يرسله الله على صورة رجل، ليمكنهم التلقي عنه ، وإذا فعل ذلك لالتبس عليهم الأمر، وما أمكنهم التمييز، ولقالوا هذا رجل، وليس بملك.

٣- قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾[(٢)]؛ أي: فبين أنه لو جعل الرسول إليهم ملكا لما أمهلهم حتى ينظروا ويختاروا ولعاجلهم بالعذاب فور عصيانهم ما جاء به لأن الحجة تكون قد لزمتهم لأول وهلة فلا محيص لهم ، وفي هذا أعظم المشقة عليهم ؛ إذ لايمكنهم معه تدبر الرسالة أفقه التدبر ، ولاتبيُّن الحجج أوضح البيان،ولا معالجة الشبه أنجع المعالجة ، ولا قمع الشهوات أمكن القمع .

ففي اختيار الله الرسول من البشر منة عظيمة منه سبحانه على عباده، ولذلك امتن بها عليهم، فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[(٤)]، وقال تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾[(٥)]، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[(٦)]؛ فكون الرسول من البشر، يعرفونه ويعيشون معه ، منة عظيمة من الله سبحانه، لأنه أدعى لقبولهم مع تدبرالحجج وزوال الشبه وقمع الشهوات ، وأيسر لهم في المتابعة والاقتداء.

(١) الأنعام: ٩

(٢) الأنعام: ٨

(٣) الجمعة: ٢

(٤) آل عمران: ١٦٤

(٥) التكوير: ٢٢

(٦) الأعراف: ١٨٤

والمشركون في قولهم هذا متناقضون جدا، وجاءوا في تناقضهم بأمر عجيب ، فهم يعبدون الأصنام والأحجار التي لا تسمع، ولا تبصر، ولا تنفع، ولا تضر، ولا تُعْقَل ألوهيتها ألبتة ، ثم استبعدوا كون البشر المدرك العاقل مبلغا عن الله، و لم يستبعدوا أن يكون الحجر إلها من دون الله تعالى.

ب- الصابئة عبدة الكواكب: وهم يقرون بوجود الملائكة، ويزعمون أنها احتجبت في السماء مع الرب تبارك وتعالى، ويعتقدون أن الملائكة جثث، ولذلك صنعوا من الأحجار والأخشاب صورا زعموا أنها على هيئة أشكال الملائكة، وعبدوها من دون الله تعالى، ويعتقدون أن الكواكب في السماء إنما هي من آثار الملائكة.

وهذا اعتقاد باطل، يرده ثبوت ألوهيته سبحانه، وأما دعواهم أن الملائكة جثث فهي باطلة، وقد سبق البيان بأن الملائكة أرواح ، وكذلك تصويرهم للملائكة ونحتهم الأصنام والأحجار على أشكال الملائكة حسب زعمهم فاسد أيضا، لأن أشكال الملائكة لا يعلمها من البشر أحد سوى الأنبياء الذين رأوهم على صورهم الحقيقية.

ج- اليهود: من عقائدهم الباطلة

- ما ورد في التوراة المحرفة أن الملائكة يأكلون ويشربون، وأنهم أكلوا عند إبراهيم عليه السلام الخبز والزبد واللبن واللحم[1]، وأنهم أكلوا فطيرا عند لوط عليه السلام[2]، وهذا كله باطل فاسد يكفي لبيان فساده وبطلانه أنه يتصادم مع قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾[3].

- وكذلك من عقائدهم الباطلة نسبتهم العبث واللهو واللعب إلى الملائكة وزعمهم أنها تنزل على الأنبياء وتعبث وتلهو معهم، فقد جاء في التوراة المحرفة: أن ملكا نزل من السماء فصارع يعقوب عليه السلام إلى طلوع الفجر ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه، وقال: أطلقني لأنه قد طلع الفجر، فقال: لا أطلقك إن لم

---

(١) انظر: سفر التكوين (١٨/٤-٨).

(٢) انظر: سفر التكوين (١٩/٢-٣).

(٣) هود: ٧٠

تباركني ... وباركه هناك[1].

وهذا الاعتقاد باطل لا يليق بمقام الملائكة ولا بمقام الأنبياء، وكلاهما مشغول عن هذا العبث واللهو بالقيام بأوامر الله وتبليغ رسالته، ومما يرد هذه القصة أن الملك إذا كان له قدرة على أن يخلع حق فخذ يعقوب فكيف استطاع يعقوب أن يغلبه؟

• وكذلك من عقائدهم الباطلة تمييزهم بين الملائكة، وكراهيتهم لجبريل عليه السلام واتخاذهم إياه عدوا ،وقد ذكر الله ذلك في كتابه ورد عليهم فقال سبحانه: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾[2].

د- النصارى: فمن اعتقاداتهم وأعمالهم الباطلة أنهم يعظمون ميكائيل عليه السلام تعظيما يصل إلى حد الشرك حيث يذبحون له الذبائح ويقربون له النذور، في يوم يسمونه عيد ميكائل، وذلك ليشفع لهم عند الله تعالى.

وهي عقيدة فاسدة تشبه عقيدة أهل الجاهلية الذين كانوا يعبدون الملائكة، وقد سبق ذكرها مع بيان بطلانها والرد عليها بالتفصيل.

---

(١) انظر: سفر التكوين (٣٢/٢٤-٢٩)، وهوشع (١٢/٣-٤).

(٢) البقرة: ٩٧-٩٨

المحاضرة الرابعة عشرة في ١٤١٦/٦/٢٠هـ

أثر الإيمان بالملائكة في سلوك العبد واعتقاده

هذا باب واسع لا حد له، لأن كل ما ورد عن الملائكة له أثر على العبد في إيمانه في اعتقاده العلمي وفي سلوكه العملي وتعبده ربَّه .

وسأذكر في كل رأس من رؤوس المباحث نماذج لأثر الإيمان بالملائكة في اعتقاد العبد وعمله ، ثم أطلب منكم أن تذكروا أنتم ما يتبين لكم من ذلك :

أ- يزيد إيمانه بالله وبصفاته، وذلك من وجوه عديدة، فالإيمان بأن الملائكة تترل من عند الله وتعرج إليه يدل على علو الله وسبحانه، وعظم خلقهم وحسن تنظيمهم يدل على عظمة الله سبحانه وتعالى، ومخاطبتهم الرب ومخاطبة الرب إياهم يدل على تكلم الله بصوت يسمع.

ب- يزيد إيمانه بالكتب، فإنه إذا علم أن الكتب مترلة من عند الله بواسطة الملك زادت ثقته بأن ما فيها من عند الله تعالى، وأنه حق وصدق.

ج- يزيد إيمانه بالرسل: فإنه إذا علم أن الملائكة تأتيهم بالوحي، وتحفظهم وتنصرهم زاد إيمانه ويقينه بصدق الرسل، وأنهم يبلغون عن الله شرعه.

د- يزيد إيمانه باليوم الآخر: فعلمه بأن الملائكة هي التي تقبض روح العبد، وهي التي تتولى نعيمه وجحيمه يزيد في إيمانه باليوم الآخر.

هـ- يزيد في إيمانه بالقدر: فإنه إذا علم أن هناك معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله، وعلم أن ملك الرحم كتب له ما يصيبه وهو في بطن أمه علم وأيقن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، ورضي بقضاء الله وقدره له.

و- الإيمان بالملائكة يحقق الإيمان بالغيب؛ لأنهم غيب لم نرهم.

ز- الإيمان بالملائكة له أثر على سلوك العبد: فإنه إذا علم كتابتها لعمله احترز مما يكتب عليه، وحرص وأقبل على ما يكتب له، وإذا علم أنها تحضر مجالس العلم زاد حرصه وإقباله عليها، وإذا علم أنها تتأذى مما يتأذى منه الناس ابتعد عما تؤذي، وإذا علم فضل موافقة تأمينه تأمين الملائكة حرص على التأمين... وهكذا.

وهذه بعض فوائد الإيمان بالملائكة التي أدلى بها الطلاب

١- نشاط العبد في الطاعة أسوة بالملائكة.

٢- علم العبد بوظيفة الكرام الكاتبين يجعله أشد تحفظا مما يقول ويعمل، وتعظم مراقبته لله عز وجل.

٣- العلم بأن الله يرسل الملائكة لنصرة عباده المؤمنين يدفعه إلى الجهاد ويزيده ثقة بنصر الله.

٤- تعظيم الله حق قدره، فإنه إذا علم عظم خلق الملائكة وقوتهم الهائلة، وعلم أنهم مع ذلك خاضعون ومطيعون ومنقادون لربهم أداه ذلك إلى تعظيم الله حق قدره في كل أموره وجميع أعماله وأفعاله وأقواله.

٥- عزيمة الصبر والتجلد عند المصائب؛ فإنه إذا علم أن الملائكة تحفظه، وتؤمن على دعائه، فيدعو هذا العلم والشعور الإنسان إلى الدعاء بالخير بدلا من الغضب والتسخط.

٦- إيمان العبد بأن الملائكة تبلغ صلاته وتسليمه إلى النبي ﷺ يدعوه إلى الإكثار من الصلاة والسلام على النبي ﷺ. وكذلك يستفاد من هذا أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب في قبره، ويستفاد منه ضلال من يلزم نفسه التوجه إلى القبر واستقباله عند الصلاة والسلام عليه ﷺ.

٧- الإيمان بنزول الملائكة وصعودها إلى السماء دليل على إثبات صفة العلو لله سبحانه وتعالى.

٨- الإيمان بالملائكة يحث العبد على حضور مجالس الذكر وحلق العلم لشهود الملائكة

تلك المجالس، ولأن الملائكة تحف الحاضرين، وتغشاهم الرحمة.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس كتاب (محاضرات في الإيمان بالملائكة)

المحاضرة السابعة في ٢٨/٥/١٤١٦هـ

المحاضرة الثامنة في ١/٦/١٤١٦هـ.

المحاضرة الرابعة عشرة في ١٤١٦/٦/٢٠هـ